صوت الصعاليك
مجلة عراقية إغبارية إلكترونية
Alsaalek Journal
سياسية ثقافية فكرية

على حافة الرصيف

ليست كل زيارة لرئيس وزراء عراقي إلى واشنطن حدثاً استثنائياً. فمنذ عام 2003 تعاقبت الحكومات، وتكررت الزيارات، وتعددت البيانات المشتركة، لكن القليل منها كان يحمل أبعاداً تتجاوز البروتوكول والدبلوماسية. أما زيارة رئيس الوزراء علي الزيدي، فتبدو مختلفة لأنها تأتي في لحظة يعاد فيها رسم توازنات العراق الداخلية والإقليمية، وتختبر سؤالا أكبر من العلاقات الثنائية :**هل تستطيع الدولة العراقية أن تستعيد زمام المبادرة من داخل منظومة الحكم نفسها؟**

من الخطأ اختزال الزيارة في ما سيعلن من اتفاقيات اقتصادية أو تفاهمات أمنية. فهذه تمثل الوجه الظاهر فقط، بينما يكمن جوهر الزيارة في شبكة الرسائل السياسية التي يتبادلها ثلاثة أطراف: واشنطن، والزيدي، والقوى التي جاءت به إلى السلطة.

واشنطن: من تغيير الحكومات إلى تغيير السلوك..

تبدو الولايات المتحدة أقل اهتماما بإعادة تشكيل الخريطة السياسية العراقية، وأكثر اهتماما بإنتاج دولة يمكن التعامل معها كشريك يمكن التنبؤ بسلوكه. وهذا يعني أن الأولوية الأمريكية لم تعد إسقاط خصوم أو صناعة حلفاء، بل ضمان وجود مؤسسات قادرة على حماية الاستثمار، وضبط النظام المالي، ومكافحة الفساد، وحصر استخدام القوة ضمن إطار الدولة.

إذا صح هذا التقدير، فإن واشنطن لا تختبر شخص علي الزيدي بقدر ما تختبر إمكانية إصلاح الدولة العراقية من داخل القوى التي تمسك بالسلطة، لا من خارجها. فالزيدي الذي يبحث عن شرعية تتجاوز التوافقات، وصل إلى رئاسة الوزراء عبر توافقات داخل الإطار التنسيقي، لكن استمرار أي رئيس حكومة في العراق لا يعتمد فقط على الكتلة التي جاءت به، بل على قدرته في بناء مصادر شرعية إضافية. هذه المصادر قد تكون: شرعية الإنجاز الاقتصادي. شرعية مكافحة الفساد. شرعية استعادة هيبة الدولة وشرعية الدعم الدولي. ولهذا تبدو واشنطن بالنسبة للزيدي ليست مجرد محطة خارجية، بل وسيلة لتعزيز موقعه الداخلي عبر استقطاب الاستثمار، وإظهار أن العراق قادر على استعادة ثقة المجتمع الدولي.

في المقابل، يتابع الإطار التنسيقي الذي يقف بين ''الدعم والقلق'' الزيارة بحسابات مختلفة. فهو يريد نجاح الحكومة، لكنه لا يريد بالضرورة أن يتحول رئيس الوزراء إلى مركز قوة مستقل يصعب احتواؤه. وهنا تظهر معادلة دقيقة: كلما نجح الزيدي في بناء علاقات خارجية مستقرة، وحقق إنجازات اقتصادية، ازدادت شعبيته واتسع هامش استقلاله السياسي. وهذا قد يعيد رسم ميزان القوى داخل التحالف الذي أوصله إلى السلطة.

وبعيداً عن كل الحسابات، فإن الشارع العراقي لا يقيس نجاح الزيارة بعدد اللقاءات أو الصور الرسمية. المعيار الحقيقي بالنسبة للمواطن هو: هل ستصل الكهرباء بصورة أفضل؟ هل ستتوفر فرص العمل؟ هل ستبدأ مشاريع إنتاجية؟ هل سينخفض مستوى الفساد؟ وهل ستفرض الدولة سلطتها على الجميع؟

هذه الأسئلة هي التي ستحدد القيمة السياسية الحقيقية للمعركة المؤجلة.

ربما يكون أهم ما في الزيارة أنها تؤجل سؤالاً لا يمكن تجنبه إلى الأبد: هل يستطيع رئيس الوزراء أن يترجم الدعم الخارجي إلى إصلاح داخلي؟. فالتحدي الحقيقي لا يبدأ في واشنطن، بل يبدأ عند العودة إلى بغداد. هناك ستختبر قدرة الحكومة على مواجهة شبكات الفساد، وإعادة هيكلة الإدارة، وتعزيز سلطة القانون، والتعامل مع ملف السلاح خارج إطار الدولة وفق آليات دستورية وسياسية معقدة.

الخلاصة: قد لا تكون أهم نتائج الزيارة ما سيعلن في البيان الختامي، بل ما ستكشفه الأشهر المقبلة. فإذا تحولت التفاهمات إلى مشاريع واستثمارات وإصلاحات، فقد تُسجل هذه الزيارة كبداية انتقال العراق من دولة تدير الأزمات إلى دولة تبني المؤسسات. أما إذا بقيت الوعود حبراً على ورق، فستنضم الزيارة إلى قائمة طويلة من الزيارات التي صنعت عناوين كبيرة، لكنها لم تُحدث تحولاً في حياة العراقيين.

المحرر

Alsaalek Journal

"مجلة صوت الصعاليك"
سياسية ثقافية فكرية
غير ملزمة بنشر كل ما يردها

المقالات المنشورة تُعبر عن رأي كُتابها
والتحرير غير مسؤولة عن محتواها

2021 جميع الحقوق محفوظة
مجلة صوت الصعاليك

saaleq21@gmail.com
info@alsaalek.de

ساهم معنا في نشر الحقيقة

SAJ.Sawt Alsaalek Journal
www.alsaalek.de

متابعات

"حصانة الخمس نجوم"
حين يطالب السارق بإعتذار من الضحية!

حيدر حسين سويري

في مشهدٍ يدعو للسخرية السوداء، يخرج علينا بعض النواب والنائبات بملامح يكسوها الامتعاض، لا لأن مليارات البلد نُهبت، ولا لأن الشعب يئن تحت خط الفقر، بل لأن طريقة إلقاء القبض على "الفاسدين" لم تكن تليق بـ "مقامهم الرفيع"! يتباكون خلف الميكروفونات على "الحصانة الدستورية" و"الوضع الاجتماعي الخاص" لمن أثروا على حساب جوع الناس.

وهنا يثور في ذهن المواطن البسيط وابل من الأسئلة المشروعة التي تبحث عن إجابة:

أسئلة برسم "الوجاهة المزيفة"

أين كانت هذه الحصانة عندما سُرقت المليارات؟ عندما كنتم تخططون لسرقة الملايين والمليارات من أموال الشعب، هل فكرتم للحظة بالوضع الاجتماعي للعائلات التي لا تجد قوت يومها؟ هل فكرتم بكرامة أبناء بلدكم وهم يرون ثروات وطنهم تُهرب إلى الخارج؟

هل تريدون اعتقالات "خمس نجوم"؟ يبدو أن البعض يطالب بأن تتم عمليات الاعتقال بسيارات فارهة وحديثة، وأن يُقاد المتهم إلى فندق خمس نجوم تتوفر فيه كل سبل الراحة والرفاهية، بدلاً من اقتياده إلى مراكز التحقيق كأي متهم آخر.

هل ينتظر السادة النواب أن يعتذر الشعب؟ بالنظر إلى حجم التباكي على "الوضع الاجتماعي" للفاسد، يكاد المرء يشعر أن الخطوة القادمة هي مطالبة الشعب العراقي بتقديم رسالة اعتذار رسمية لهؤلاء الفاسدين لأننا أزعجنا "راحتهم" وطالبنا بمحاسبتهم!

إن القيمة الحقيقية للوضع الاجتماعي تصنعها الأمانة ونزاهة اليد، لا الأموال المنهوبة. ومن يرتضي لنفسه سلب قوت الشعب، يسقط عنه تلقائياً أي احترام أو تقدير مجتمعي.

من المحاكمات العلنية.. إلى "هندسة العفو العام"

الدراما لا تقف عند حدود "طريقة الاعتقال"، بل تمتد إلى ما وراء الكواليس. ففي الوقت الذي ينتظر فيه الشارع محاكمات علنية كبرى تُبث على شاشات التلفاز ليتعرف الجميع على من سرق أحلامهم، نسمع اليوم عن "ترتيبات وصفقات" غرف مظلمة.

بدلاً من القصاص العادل، يتم الترويج والعمل على شمول كبار الفاسدين بقانون "العفو العام". إنها محاولة مكشوفة لإعادة تدوير الفساد، وإصدار "شهادة براءة" قانونية لمن أفسد في الأرض، وتحت غطاء التشريعات التي يُفترض بها حماية المجتمع لا حماية السارق.

بقي شيء...

على النواب الممتعضين أن يدركوا أن القانون فوق الجميع، وأن "الحصانة" شُرعت لتمكين النائب من الدفاع عن الشعب، وليس للاحتماء بها بعد نهب أمواله. لن ينطلي على هذا الشعب تباكيكم على "بريستيج" الفاسد، فمن يسرق الوطن.. لا وضع اجتماعي له ولا حصانة تحميه من غضب التاريخ.

الموازنة ماتت قبل ان تولد

د. بان سمير العزاوي

"الخبر الصادم الذي يتهرب منه الكثيرون: موازنة 2026 بحكم الملغاة والقطار عبر مباشرة إلى 2027! لنكشف الأوراق بجرأة.. لماذا اختفت موازنة 2026؟"

نوم تشريعي حتى تموز: البرلمان حالياً في "عطلة تشريعية" ولن يعود قبل الشهر السابع .

عندما يستيقظ البرلمان ستكون السنة قد انتهت تقريباً! فمتى تصل الجداول؟ ومتى تُدرس؟ ومتى تقر؟ نحن أمام سباق مع وقتٍ ضاع مسبقاً.

فخ الـ (12/1): طالما أن الرواتب مؤمنة ومستمرة بالصرف عبر آلية 12/1 فقد اطمأنت السلطة أن الشارع لن يتحرك فتحول دور الدولة من "بناء وتنمية واستثمار" إلى "أمين صندوق" يوزع الرواتب نهاية كل شهر!

هروب إلى الأمام: الحكومة لا تريد العمل بأرقام موازنات سابقة فرضت عليها وتريد وضع بصمتها بأرقام جديدة كلياً لذلك كان القرار الأسهل سياسياً وتنفيذياً هو "تصفير" سنة 2026 والقفز نحو 2027.

الحقيقة التي يجب أن تُقال: إدارة اقتصاد بلد بحجم العراق بآلية "مشي اليوم وتأجيل الغد" وتخطي سنة موازنة كاملة ليس مناورة ذكية بل هو دليل على عمق الأزمة التخطيطية وغياب الرؤية الاقتصادية المستدامة.

** شارك المنشور ليعرف الجميع الحقيقة.. واكتب رأيك: هل تجد القفز إلى موازنة 2027 "واقعية سياسية" لإنقاذ ما يمكن إنقاذه أم أنه "اعتراف صريح" بالتواري في ضبط التوقيتات والقوانين؟

إدارة المجلة:

رئيس التحرير..... عصام الياسري
مدير التحرير..... د. سناء شامي
إدارة..... د. أشواق لطفي
تنسيق ..... ندا الخوام
رسوم..... الفنان منصور البكري
ويب..... فراس الزبيدي

تصميم: كامل عبدالله ... دان ميديا DAN media

تصدر مرتين بالشهر// في أول (1) ومنتصف (15) الشهر.. غير ملزمة بنشر كل ما يردها.

"صوت الصعاليك" عراقية مستقلة حرة...

انطلقت في 01 يناير 2021 من إيمان راسخ بأن الكلمة الحرة هي السلاح الأمضى في مواجهة الظلم والفساد.. وإن ـ على مهنة الصحافة ألا تنحاز إلا للحقيقة وحمل هموم الناس المهمشين، ومن لا صوت لهم .

منذ تأسيسها، حرصت على أن تكون منبرًا حقيقيًا يعكس صوت الشعب ويُعبّر عن همومه وتطلعاته.

»نهاية عصر الاشتراكية«

أفنان علي

الرد على اعلان ـ علي الزيدي

اللي راح يصير بالعراق ببساطة وتذكروا كلامي .. التحول إلى ليبرالية متوحشة بدون عدالة اجتماعية على حساب الضعفاء.

العراق لم يكن اشتراكياً حقيقياً منذ عقود، بل تحول إلى دولة ريعية تعتمد بالكامل تقريباً على النفط، مع اقتصاد مركزي مشلول ومحاصصة طائفية وتضخم هائل بالتعيينات الحزبية. لذلك حين يتحدث علي الزيدي عن "نهاية الاشتراكية" فهو عملياً يقصد نهاية فكرة أن الدولة تتحمل كل شيء وتخلي مسؤوليتها عن توفير الوظائف، الرواتب، الدعم، التقاعد، والخدمات ... رغم أن أغلب هذه الأمور أصلاً متآكلة أو غير موجودة بالشكل الحقيقي بسبب الفساد والانهيار الإداري.

المشكلة ليست أن النموذج الحالي ناجح، بل العكس تماماً. نموذج الريع + الفساد + الدولة المتضخمة أنتج كهرباء سيئة، خدمات متدنية، بطالة مقنعة وجيلاً كاملاً ينتظر التعيين الحكومي كخلاص وحيد. هذا النموذج فشل فشلاً كارثياً ولا يمكن أن يستمر إلى الأبد.

لكن الأخطر هو ما يبدو أنه قادم هو التحول إلى رأسمالية متوحشة بدون عدالة اجتماعية حقيقية. يعني ببساطة تحميل الفقراء والطبقة المتوسطة كلفة الانهيار بينما تبقى نفس الطبقة السياسية والاقتصادية الفاسدة ممسكة بكل شيء. التعليم والصحة اللذان ما زالا متوفرين جزئياً رغم سوءهما قد يتحولان تدريجياً إلى خدمات مدفوعة بالكامل، مع تقليل التعيينات الحكومية الجماعية والتوسع بالعقود المؤقتة والضغط على الرواتب والتقاعد بحجة العجز المالي.

السؤال الحقيقي ليس هل النموذج القديم فشل؟ نعم فشل.

السؤال الحقيقي: هل الدولة الحالية بعقلياتها الفاسدة ومؤسساتها المنهارة قادرة فعلاً على بناء اقتصاد رأسمالي ناجح وعادل؟ كيف يمكن بناء سوق حقيقي ومنافسة واستثمار ومؤسسات مالية محترمة في بلد ما تزال كثير من دوائره لا تملك حتى (تواليت) نظيف؟!

الرأسمالية ليست مجرد خصخصة ورفع يد الدولة. الرأسمالية الناجحة تحتاج قضاءً نزيهاً، مؤسسات قوية، قوانين تطبق على الجميع، مدارس وجامعات تخرّج كفاءات وإدارة تحترم القانون. بدون ذلك، التحول الاقتصادي لن يكون "نهضة"، بل مجرد نقل للثروة والخدمات من يد الدولة الفاشلة إلى يد شبكات احتكار وفساد أقوى وأكثر قسوة على الناس.

وهذه الشبكات تديرها الأحزاب "الحرامية" نفسها، يعني ببساطة السياسي راح ياخذ راتب من الدولة ونفس الوقت يصير مستثمر براسك بدون متدري ...

نداء إلى جميع أبناء الوطن* ذكرى 14 تموز... وأهمية ترسيخ قيمها وتبنيها عيدا وطنيا

”ندعوكم إلى التوقيع على المذكرة الموجّهة إلى رئيس الجمهورية، للمطالبة بإعادة الاعتبار ليوم 14 تموز واعتماده عيداً وطنياً*.“

فخامة رئيس الجمهورية
السيد نزار آميدي المحترم

تحية طيبة..

في هذه المناسبة الوطنية الخالدة، ذكرى 14 تموز، التي شهدت إعلان النظام الجمهوري في العراق عام 1958، نستحضر معاً المعاني العميقة التي حملتها تلك اللحظة التاريخية، حين عبّر الشعب عن إرادته في بناء دولة قائمة على العدالة والمساواة والسيادة الوطنية.

إن هذه الذكرى ليست مجرد محطة في التاريخ، بل هي عهد متجدد على حماية مكتسبات الجمهورية، وتعزيز الشراكة الوطنية بين جميع أطياف الشعب، وترسيخ مبادئ الديمقراطية والحكم الرشيد.

فخامة الرئيس

أن مناسبة الذكرى الـ 68 للثورة تُعتبر فرصة لاستذكار هذا الحدث الوطني وضرورة إعادة الاعتبار ليوم 14 تموز باعتباره عيداً وطنياً ويوماً لتأسيس الجمهورية، لما له من قيمة وطنية وشعبية وقبول من جميع أطياف الشعب العراقي، وكونه رمزاً من رموز الكفاح الوطني للخلاص من التبعية ونيل الحرية والاستقلال، الثورة التي منحت العراق سيادته واستقلاله الوطنيين الكاملين، وخلصته من الاحلاف الاستعمارية، وانهت وجود القواعد العسكرية الاجنبية في الحبانية والشعيبة، وحررت بلادنا من قيود الاسترليني، أفليس انهاء الوجود العسكري الاجنبي هو ماتكاد اليوم تجمع عليه مختلف الأطياف السياسية، وتسعى الى تحقيقه، في انسجام مع الموقف المعلن للحكومة ؟

ان ثورة 14 تموز، رغم كل ما واجهتها من صعوبات وتحديات، وما رافقها من ثغرات ونواقص، شأن الاحداث والثورات الكبرى في العالم، لاتزال منجزاتها الكبيرة شاخصة حتى اليوم، تشهد على اصالتها ونبل أهدافها وصدق تعبيرها عن إرادة ملايين العراقيين الذين استقبلوها بفرح غامر شمل البلاد من شمالها الى جنوبها، ومن غربها الى شرقها. وهي راسخة في وجدان وضمير ملايين العراقيين، فلماذا يراد طمس ذكراها المجيدة وقوة مثالها الملهم؟

ان ذكرى ثورة 14 تموز باقية حية، راسخة في وجدان الشعب، ولكل ما ذكر أعلاه نتطلع الى مبادرتكم الكريمة في تعديل قانون العطل الرسمية وتثبيت يوم 14 تموز باعتباره عيدا وطنيا.

رابط التوقيع:

https://docs.google.com/forms/d/e/1FAIpQLSf-RIJK-03V1EQEgiJBMKcG9Ie1mM8ufaka1QSsxH4-fd4K-A/viewform

ماذا بعد؟..

على جميع القوى والأحزاب السياسية، داخل السلطة وخارجها، التي تدعو إلى تحقيق العدالة المجتمعية وتغيير طبيعة نظام الحكم نحو دولة المواطنة، أن تمارس الضغط السياسي والجماهيري لتحقيق ما تطمح إليه. ذلك يتطلب الدفع باتجاه تحقيق أمرين مهمين:

- المطالبة بإجراء استفتاء شعبي يتعلق باصلاح أربعة أمور:
  - الدستور
  - قانون الأحزاب
  - قانون الانتخابات
  - المفوضية العليا للانتخابات
- من هنا يتوجب على أصحاب الفقه والرأي والفكر والإعلام والثقافة، السعي لتحقيق هذه الأهداف ومحاربة النفاق السياسي بكل الوسائل المتاحة لإنقاذ الشعب والوطن من الضياع وضمان مستقبل أفضل للأجيال القادمة!!

العراق.. ثورة الأمل والثقافة
مسيرة الإبداع في الجمهورية العراقية الأولى

لم يكن الرابع عشر من تموز عام 1958 مجرد حدث سياسي أنهى النظام الملكي وأعلن قيام الجمهورية، بل كان لحظة مفصلية حملت معها مشروعا واسعا لإعادة بناء الدولة والمجتمع على أسس جديدة. وبينما انصرفت الدراسات إلى الجوانب السياسية والاقتصادية للثورة، بقي جانبها الثقافي والحضاري واحدا من أبرز وجوهها التي تستحق التأمل؛ فقد أدركت القيادة الجديدة أن بناء الإنسان لا يقل أهمية عن بناء المؤسسات، وأن الثقافة ليست ترفا، بل ركيزة من ركائز النهضة الوطنية.

شهدت السنوات التي أعقبت الثورة حراكا ثقافيا غير مسبوق، اتسم باتساع هامش حرية التعبير، وازدياد الاهتمام بالمثقف بوصفه شريكا في صناعة الوعي. فانتعشت الصحافة الثقافية، وتوسعت حركة النشر، وظهرت مجلات ومنابر فكرية أتاحت للأدباء والباحثين والفنانين التعبير عن رؤاهم، كما شهدت الجامعات والمؤسسات العلمية نموا ملحوظا انعكس على حركة التأليف والترجمة والبحث الأكاديمي.

وفي الأدب، برزت أسماء عراقية كبيرة استطاعت أن تجد فضاءً أرحب للإبداع، فازدهر الشعر الحديث، وتقدمت حركة القصة والرواية، وتنوعت الاتجاهات النقدية والفكرية. ولم يعد الأدب معزولا عن هموم المجتمع، بل أصبح مرآة للتحولات الاجتماعية والسياسية، ومنبرا للحلم بمجتمع أكثر عدالة وتقدما. كما شهدت المؤسسات الثقافية نشاطا لافتا في إقامة الندوات والملتقيات وتشجيع المواهب الشابة، مما أسهم في ترسيخ مكانة العراق بوصفه أحد أهم المراكز الثقافية في العالم العربي.

أما الحركة الفنية، فقد دخلت مرحلة جديدة من النضج والانتشار. ففي الفن التشكيلي، واصل الرواد العراقيون تأسيس مدرسة تمتزج فيها الحداثة بجذور الحضارات الرافدينية، فبرزت أعمال تستلهم سومر وبابل وآشور بروح معاصرة، وأسهمت الجمعيات الفنية والمعارض في تقديم الفن العراقي إلى المحافل العربية والدولية. وفي المسرح، اتسعت دائرة الإنتاج والعروض، وظهرت نصوص تعالج قضايا المجتمع بلغة فنية رفيعة، بينما شهدت الموسيقى والغناء العراقيان رعاية أكبر للمواهب والمؤسسات الفنية، مما أسهم في ترسيخ الهوية الموسيقية العراقية.

ولعل من أبرز الإنجازات الحضارية لتلك المرحلة مـا يتعلق بالعناية بالتراث والآثار. فـقـــد تنامى الوعي الرسمي بأن العراق ليس مجرد دولة حديثة، بل وريثٌ لأقدم الحضارات الإنسانية. ومن هذا المنطلق، حظيت أعمال التنقيب الأثري بدعم ملحوظ، وتوسعت البعثات الأثرية العراقية والأجنبية في الكشف عن مواقع حضارية جديدة، كما جرى الاهتمام بتطوير المتحف العراقي وتعزيز مقتنياته، والعمل على حفظ اللقى الأثرية وصيانتها وفق الأساليب العلمية المتاحة آنذاك.

ولم يقتصر الاهتمام على التنقيب، بل امتد إلى حماية المواقع الأثرية من التجاوز والإهمال، وتشجيع الدراسات التاريخية والآثارية، وإبراز الإرث الحضاري العراقي في المعارض والمنشورات، بما عزز حضور العراق في الوعي الثقافي العالمي بوصفه مهدا للحضارات الإنسانية الأولى.

كما شهدت تلك المرحلة اهتمامًا بالتراث الشعبي بوصفه مكونا أصيلا من الهوية الوطنية، فبدأت جهود أكثر تنظيما لجمع الحكايات الشعبية والأمثال والأغاني والفنون الفلكلورية، وتوثيقها بوصفها جزءا من الذاكرة الجمعية للشعب العراقي، وهو توجه أسهم في حماية جانب مهم من التراث غير المادي.

ورغم أن عمر ثورة الرابع عشر من تموز كان قصيرا، فإن أثرها الثقافي تجاوز سنواتها الفعلية. فقد أرست تقاليد جديدة في دعم الثقافة الوطنية، ورسخت قناعة بأن الإبداع والفن والمعرفة عناصر أساسية في مشروع بناء الدولة الحديثة. كما أسهمت في تعزيز الوعي بقيمة الإرث الحضاري العراقي، بوصفه ثروة وطنية وإنسانية ينبغي صيانتها للأجيال المقبلة.

إن تقييم تلك التجربة ينبغي أن يتم بمنهج تاريخي متوازن، يـــميز بـــيـــن الجدل السياسي الذي أحاط بها، وبين المنجزات الثقافية والحضارية التي تركت بصمتها في تاريخ العراق الحديث. فالثقافة، بخلاف السياسة، تمتلك قدرة أطول على البقاء، وما أُنجز في ميادين الأدب والفنون والآثار خلال تلك السنوات ظل جزءا من الرصيد الحضاري الذي يعتز به العراقيون حتى اليوم، وشاهدا على مرحلة آمنت بأن نهضة الأمم تبدأ ببناء العقل، وصيانة الذاكرة، واحترام التراث.

حين نكتب تاريخ أمة، فإننا لا نكتفي بسرد الأحداث السياسية والتحولات الرسمية، لأن حياة الشعوب لا تختصر في القرارات والأنظمة وحدها، بل تظهر حقيقتها في ما تنتجه من فكر وفن وأدب.

فالثقافة هي الذاكرة العميقة للمجتمع، وهي المساحة التي يعبر فيها الإنسان عن أحلامه ومخاوفه وأسئلته الكبرى. ومن خلالها نستطيع أن نقرأ روح العصر، وأن نفهم كيف كان الناس ينظرون إلى أنفسهم وإلى العالم من حولهم.

لقد كان العراق عبر تاريخه الطويل أرضا للحضارات والإبداع. فمن هذه الأرض انطلقت الكتابة الأولى، ونشأت تقاليد أدبية وفنية تركت أثرا في تاريخ الإنسانية. ولم ينقطع هذا الحضور في العصر الحديث، بل ظهر في أشكال جديدة عبر الصحافة والتعليم والمسرح والسينما والفنون التشكيلية والموسيقى.

وتأتي الجمهورية العراقية الأولى ضمن هذه المسيرة بوصفها مرحلة ذات أهمية خاصة؛ ليس فقط بسبب ظروفها التاريخية، بل بسبب ما شهدته من نشاط ثقافي وفني، وظهور أسماء أصبحت لاحقًا علامات بارزة في تاريخ العراق والعالم العربي.

جداريات من ذاك المكان

أضواء ..
” المأساة العراقيةِ دونَ حلولٍ جَدية “

» الدولة تنتصر عندما ينتصر القانون «

الدكتور محمد طه الهدلوش *

إن العراق العظيم يقف اليوم أمام لحظة مفصلية لا تحتمل التردد أو المجاملة فالدول لا تبنى بالشعارات وإنما تبنى عندما يكون القانون سيدا والعدالة ميزانا والمال العام خطا أحمر لا يسمح بتجاوزه لقد أثبتت التجارب أن الفساد ليس مجرد تجاوز إداري أو مخالفة مالية بل هو مشروع لتقويض الدولة من الداخل واستنزاف ثرواتها وإضعاف مؤسساتها وإفقار شعبها وكل معركة تخاض ضد الفساد هي في حقيقتها معركة للدفاع عن سيادة العراق وهيبة دولته ومستقبل أجياله.

ومن هنا فإن الإجراءات القانونية التي تتخذها الدولة لمحاسبة الفاسدين تمثل اختبارا حقيقيا لقدرتها على فرض سيادة القانون واستعادة ثقة المواطن وترسيخ مبدأ أن المنصب العام تكليف لا امتياز وأن النفوذ السياسي لا يمنح حصانة لمن يعتدي على حقوق الشعب أو المال العام.

إننا نؤمن بأن هيبة الدولة لا تستعاد إلا عندما يكون القضاء مستقلا والقانون نافذا والمحاسبة شاملة لا تستثني أحدا فلا إصلاح بلا عدالة ولا عدالة مع الانتقائية ولا دولة قوية ما دام الفاسد يعتقد أن بإمكانه الإفلات من العقاب.

لقد آن الأوان لإغلاق صفحة الإفلات من العقاب إلى غير رجعة وفتح صفحة جديدة عنوانها العراق أولا والقانون فوق الجميع فالمعركة اليوم ليست بين سلطة ومعارضة ولا بين حزب وآخر بل بين مشروع الدولة ومشروع الفساد بين من يريد عراقا قويا مستقلا ومن جعل من مقدراته وسيلة لتحقيق المصالح الضيقة.

إن دعم الدولة في معركتها ضد الفساد ليس انحيازا لأشخاص بل انحياز للعراق ولمستقبل أبنائه ولحق المواطن في دولة عادلة تحمي ثرواته وتصون كرامته ومن يتردد في هذه المعركة أو يحاول تسييسها أو تعطيلها فإنه يضعف مؤسسات الدولة ويمنح الفساد فرصة جديدة للاستمرار.

وانطلاقا من هذه المسؤولية الوطنية فإن من الواجب الإشادة بكل الجهود الصادقة التي تبذل لترسيخ سيادة القانون واستعادة هيبة الدولة وفي هذا الإطار نثمن دعم دولة رئيس مجلس الوزراء لمؤسسات الدولة في أداء واجباتها الدستورية وإسناده للإجراءات القانونية الرامية إلى مكافحة الفساد وحماية المال العام بما يؤكد أن الدولة ماضية في فرض القانون دون تهاون كما نعبر عن بالغ التقدير للقضاء العراقي الذي يواصل أداء رسالته باستقلالية ومسؤولية بوصفه الضامن لتحقيق العدالة وصيانة الحقوق ونحيّي كذلك الأجهزة الأمنية المنفذة لقرارات القضاء التي أثبتت بمهنية وانضباط أن قوة الدولة تكمن في احترام القانون وتنفيذ أحكامه وأن هيبة العراق تصان عندما تتكامل مؤسساته في خدمة الوطن والمواطن.

إن العراق يستحق دولة قوية مهابة عادلة لا تدار بالمساومات ولا تخضع للضغوط ولا تعرف سوى لغة الدستور والقانون وعندما ينتصر القانون ينتصر العراق وعندما تهزم منظومة الفساد تبدأ مرحلة بناء الدولة التي حلم بها العراقيون.

فليكن شعارنا الدائم العراق أولًا والقانون فوق الجميع وهيبة الدولة لا تساوم وسيادة القانون لا تتجزأ ولا حصانة لفاسد ولا مكان لمن يعتدي على قوت الشعب وحقوقه فالعراق يستحق دولة لا تعرف إلا القانون وشعبا لا يرى فوق الدستور أحدا ومستقبلًا يبنى بالنزاهة والعدالة لا بالمحاصصة والفساد.

عاش العراق عزيزا سيدا منتصرا بدولته وقانونه.

---

* رئيس مجلس قادة وشخصيات العراق

» العراقُ ؟... في حَضْرة آراءِ المُواطنينَ«

* ابو عبدالله الطفيلي

العراق يستحق أن يكون ولاؤه للعراق فقط، وأن تكون مصلحة شعبه فوق كل اعتبار.

لقد تعب العراقيون من الصراعات والفساد والمحاصصة، وحان الوقت لمرحلة تبنى على سيادة الدولة والعدالة وتكافؤ الفرص. ونأمل من الحكومة المقبلة أن تتخذ خطوات جريئة للإصلاح، منها:

دراسة التعاقد على إنشاء مفاعل نووي سلمي لإنتاج الطاقة الكهربائية، على غرار تجارب بعض الدول، وتنويع مصادر الطاقة بما يخدم مستقبل العراق.

إعطاء الأولوية للكفاءات العراقية في فرص العمل، وتعزيز تشغيل الأيدي العاملة الوطنية وفق القوانين النافذة.

فتح جميع ملفات الفساد دون استثناء، ومحاسبة كل من استولى على المال العام، والتعاون مع الجهات الدولية لاسترداد الأموال المنهوبة أينما وجدت.

تشديد إجراءات مكافحة غسل الأموال وتعزيز الرقابة على المنافذ الحدودية وإدارتها بما يحقق المصلحة الوطنية ووفق الدستور والقانون.

مراجعة الامتيازات والرواتب التي تثير الجدل وفق أسس العدالة والقانون، بما يحقق الإنصاف ويحافظ على المال العام.

ترسيخ السلم المجتمعي، ونبذ كل أشكال الانقسام، ليكون العراق فوق الجميع، وعلمه رمزاً لوحدة أبنائه.

العراق يمتلك من الطاقات والخيرات ما يجعله في مقدمة الدول، إذا انتصرت دولة القانون على الفساد، وقدمت مصلحة الوطن على كل المصالح الضيقة.

العراق وطن الجميع... من الفاو إلى زاخو، ومن البصرة إلى الموصل، وسيبقى بلد الحضارات وبلد أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام). ولن ينهض إلا بسواعد أبنائه، وبالعدالة، وبمحاسبة الفاسدين، وحماية المال العام، وتعزيز الانتماء للوطن.

* ابو طالب الزرفي

الى متى هذا الذل والمهزلة يا مجلس محافظة النجف...؟

كهرباء ماكو والحر وصل 50 درجة واكثر والبيوت صارت فرن. الاطفال تبجي من الحر والمرضى بالمستشفيات يختنقون وكبار السن ما يكدرون ينامون .

وانتم وين مسافرين تعزون وتصورون وتضحكون وناسين الشعب اللي جابكم على الكراسي .

صارلكم سنين توعدون وتحجون وموعدكم كله كذب. لا شغل ولا خدمات ولا حتى ابسط حق وهو الكهرباء

اذا بقلوبكم ذرة انسانية وذرة غيرة على هاي المدينة استقيلوا وفضوها. احنا ملينا من الوعود .

والله العتب مو عليكم العتب علينا احنا الشعب الغافي اللي بعدنا ساكت على حقنا ونسكت على فشلكم .

كافي نوم كافي ذل كافي سكوت. طلعوا صوتكم يا اهل النجف النجف_تختنق نريد_كهرباء..

* الدكتور قصي شفيق

دولة الرئيس علي الزيدي لم يَحضَ بأي إستقبال رسمي من قِبَل قادة البيت الأبيض عند وصول طائرته الى واشنطن... سِوى بعض من الموظفين بالمطار فقط .

غرفة بسيطة في مقر الوفد العراقي لقاء القائم بالأعمال والمبعوث الأمريكي الى بغداد توم بارك.

بعيدا عن التهويل من أهمية الزيارة لكن هذا الواقع لا يتحمله الزيدي بل النظام السياسي الذي لم يقدم شي لسيادة ووحدة العراق

الطبقة السياسية ومشاهد الفساد لم تعطي للعراق هوية وطنية امام أمريكا والعالم بسبب قوى سياسية تتصارع على المال والسلطة والنتيجة غياب المشروع الوطني العراقي.

ملاحظة امريكا تتعامل مع الضعيف هكذا والذي أوصل العراق إلى ان يكون صدى وليس صوت هم الطبقة السياسية الفاسدة على مدار 23 عام تركوا العراق وأهميته وذهبوا لنهب ثروات البلد وفتحوا ابواب البلاد للتدخلات الخارجية حتى وصل الحال تغريدة من ترامب جعلت الاطار 4 اجزاء.

* Hason Kadhim

هذا ما طلبه الزيدي من ترامب:

1.رفع العقوبات المصرفية :
إلغاء قيود الخزانة الأمريكية على المصارف العراقية
الخاصة.
2.تسهيل تدفقات الدولار: تبسيط شحن وتسليم الأموال
العراقية من البنك الفيدرالي.
3.إستثمارات الطاقة والكهرباء: جذب الشركات الأمريكية
لتطوير وإنهاء أزمة الكهرباء.
4.شراكة نفطية مع "شيفرون": دعم استثماراتها في حقل
غرب القرنة-2 والغاز المصاحب.
5.دعم أمني إستخباراتي :
توفير تكنولوجيا المراقبة واللوجستيات لفرض "حصر
السلاح."
6.توسيع الشراكة التكنولوجية :
تعزيز الإستثمار الرقمي بعد ترخيص "ستارلينك" في
العراق.
7.إعفاءات مؤقتة للطاقة :
إستمرار مرونة إستيراد الغاز والكهرباء لتفادي الأزمات
الطارئة.
8.حل أزمة نفط كردستان :
وساطة أمريكية لإستئناف تصدير النفط عبر الأنبوب
التركي.
9.دعم عسكري غير محدود
10.غطاء سياسي علني :
دعم أمريكي صريح لخطوات حكومة الزيدي لتقوية موقفها في الداخل.

مراجعات فكرية

من يحكم حوكمة الفساد في العراق؟

د.الغزالي الجبوري

ت: من الفرنسية أكد الجبوري

ملخص تجريدي مبسط:
ساد شعورٌ مقلقٌ لدى الأوساط العامة في العراق: شعورٌ بالديمقراطية الوصائية، حيث تُعرقل القرارات السياسية المشروعة باستمرار، أو تُقيّد، أو يُعاد تفسيرها من قِبل هيئات قضائية، تبدو في كثير من الأحيان وكأنها تتصرف بانحياز أيديولوجي يصعب تجاهله.

يتساءل المزيد (ضمن استطلاع استبياني - لمراكز متخصصة). تؤشر؛ من المواطنين يوميًا. سؤالًا. لم يعد بالإمكان تجاهله. باعتباره مبالغة أو مجرد سخط سياسي: من يحكم العراق حقًا؟؛
- هل هي السلطة التنفيذية المنتخبة عبر صناديق الاقتراع؟
- هل هو البرلمان الذي يُمثل السيادة الشعبية؟
- أم أنه، في الواقع، جزءٌ من السلطة القضائية قرر أن يضطلع بدور سياسي لم يمنحه إياه المواطنون؟

لأن ما نشهده منذ سنوات والايام الحالية والقريبة. لم يعد يُعتبر طبيعيًا في ديمقراطية ناضجة.

ساد شعورٌ مقلقٌ في العراق: شعورٌ بالديمقراطية الوصائية. ديمقراطيةٌ لا يكفي فيها التصويت دائمًا لضمان احترام الإرادة الشعبية. ديمقراطية تُعرقل فيها القرارات السياسية المشروعة باستمرار، أو تُقيّد، أو يُعاد تفسيرها من قِبل هيئات قضائية، تبدو في كثير من الأحيان وكأنها تتصرف بانحياز أيديولوجي يصعب تجاهله.

فصل السلطات أمرٌ جوهري. فبدون قضاة مستقلين، لا ديمقراطية. ولكن لا ديمقراطية أيضاً عندما يتصرف فرع من فروع الحكومة وكأنه فوق كل رقابة ديمقراطية، محصن ضد النقد الشعبي، ومحمي من النقاش العام. هذه هي المشكلة الحقيقية.

لا نتحدث هنا عن العدالة، بل عن تسييس القضاء، والأخطر من ذلك، تسييس قطاعات من السلطة القضائية. والجمهور يرى ذلك.

يرى كيف يتدخل بعض القضاة مراراً وتكراراً في قضايا سياسية بارزة. يرى كيف تُحسم بعض القضايا بسرعة فائقة بينما تُهمل أخرى لسنوات في أدراج القضاء. يرى كيف تتغير شدة العقوبة تبعاً للانتماء السياسي للشخص الخاضع للتحقيق.

وهذا التصور، سواء كان مريحاً أم لا، يُقوّض الثقة في المؤسسات. لأن العدالة لا يجب أن تكون نزيهة فحسب. يجب أن تبدو محايدة.

عندما يرى جزء كبير من الشعب ازدواجية في المعايير - معيار لليمين وآخر لليسار - تتجاوز المشكلة كونها مسألة حزبية، لتصبح مسألة ديمقراطية.

أعادت قضية الفساد الأخيرة هذه القضية إلى الواجهة مجدداً. فقد أُمرت الحكومة العراقية برئاسة علي الزيدي (1986-)() لتوصيفها قاضياً بأنه "فاسد"، ضمن حملة ما تسمى بـ(صولة الفجر)() جاء بدعم من رئيس مجلس القضاء الأعلى (فائق زيدان. (1967-)()) وبتنسيق مع (ضياء جعفر لفتة.(1992-)()) نائب رئيس محكمة استئناف الكرخ/ قاضي أول في محكمة تحقيق الكرخ المختصة بقضايا النزاهة. الذي يعمل "تحت إشراف مجلس القضاء الأعلى". وهو قاضٍ تعتبره مسؤولاً عن إجراءات قضائية مشكوك فيها للغاية (في قضايا الفساد المالي والإداري الكبرى. الجرائم الإقتصادية. وقضايا استرداد الأموال)(). وبغض النظر عما إذا كانت كلماتها مبالغاً فيها أم لا، فإن السؤال الأساسي هو: أين يكمن الحد الفاصل بين حماية الشرف ومعاقبة النقد السياسي؟ لأن العديد من المواطنين يلاحظون تناقضاً يصعب تقبله.

إلقاء القبض على مجموعة من المتهمين. بسرعة بسبب تصريح قضائي ضد الفاسدين، بينما يبدو أن الخطاب الأكثر عدوانية وإهانة، بل وحتى تجريداً من الإنسانية، الصادر عن قطاعات "الإطار التنسيقي" المتطرف بالفساد، يجد تسامحاً أكبر في المجال العام. ويجدر الحديث عنه. عن نظام الحكم "حكومات" بعد الاحتلال الامريكي للعراق منذ 2003.

ومن هنا ينبع الغضب. ليس لأن أحداً فوق القانون، فلا ينبغي لأحد أن يكون كذلك. لكن لأن القانون يجب أن يُطبق بحزمٍ متساوٍ على الجميع؛
- دون استثناءات.
- دون تحيز.
- دون انتماءات أيديولوجية.

في الديمقراطية السليمة، لا يُعتبر القضاة آلهة. إنهم موظفون عموميون يتمتعون بسلطة هائلة، ولهذا السبب تحديدًا، يجب أن يتقبلوا قدرًا كبيرًا من التدقيق والنقد الاجتماعي. لا ينبغي الخلط تلقائيًا بين انتقاد الأحكام القضائية، حتى النقد اللاذع، وبين الاعتداء على سيادة القانون.

أحيانًا يكون العكس هو الصحيح. أحيانًا يكون انتقاد القرارات القضائية دفاعًا عن الديمقراطية ضد إساءة استخدام السلطة. تتفاقم المشكلة بسبب الجمود المؤسسي في المجلس العام للقضاء. إن تجديده، المعلق منذ سنوات، ليس مجرد خلل إداري، بل هو عرضٌ لخلل ديمقراطي أعمق. أي عندما تبقى الهيئات الحكومية الرئيسية خاضعة للمصالح الحزبية، يختل التوازن المؤسسي. وعندما يسمح هذا الخلل لجزء من الجهاز القضائي بتكوين حق نقض دائم على القرارات الديمقراطية، يعود السؤال بقوة أكبر: من يملك زمام الأمور هنا؟

إذ أن الديمقراطية لا تموت دائمًا بالدبابات في الشوارع، ولا تتطلب دائمًا الزي العسكري أو الانقلابات العسكرية أو إطلاق النار. بل يمكن أن تتآكل ببطء.

- بالسيارات الفارهة عبر الفساد.
- بالحصار والجوع.
- بالنقض الثقافي والتعليمي.
- بحدة الصراع الطبقي والكسب اللامشروع.
- بأحكام قضائية تتراكم لتؤدي في النهاية إلى تحويل السلطة الحقيقية بعيدًا عن صناديق الاقتراع.

هذا هو خطر العراق: توجه خفايا الصراع السياسي "الإطار التنسيقي" الذي قام بصناعة "علي الزيدي"؛ كأداة. والقيام بتنفيذ ما تدفعه لتصفيات مأرب سياسية؛ "صراع وحدة الفاسدة الحاكمة" أي بانقلاب صامت لـ"أخوة الفساد بالدم"، وتحوّل تدريجي للسلطة الفعلية نحو مجالات لم يخترها الشعب.

العراق بحاجة إلى قضاة مستقلين، نعم. لكنها بحاجة أيضًا إلى مؤسسات مُجددة، وضوابط وتوازنات حقيقية، وسلطة سياسية تتمتع بالشجاعة للدفاع عن السيادة الشعبية ضد أي استغلال من قِبل الشركات.

لأنّ في الديمقراطية، لا يمكن أن يكون القرار النهائي حكرًا على من لم ينتخبهم أحد، بل يجب أن يكون للشعب. وطالما بقي ملايين المواطنين يتساءلون عمّن يحكم حوكمة الفساد في العراق حقًا، فهذا يعني أن ديمقراطيتنا، تعاني من جرح غائر، وتجاهله لم يعد خيارًا مطروحًا.

***

آراء حرة

هل حُصّل ما في الصدور؟

د.سناء شامي

"هل الشرعية السياسة في الدول العربية في خطر؟ أم إن هذه الشرعية ولدت ولادة قيصرية غير طبيعية، و بقيت تعاني طوال حياتها من الأمراض و الأزمات؟"

ولتشخيص أسباب أمراض الشرعية السياسية، لا بد من العودة إلى تاريخ تأسيس الدولة الحديثة، لنكتشف بأن العلة بنيوية و تكمن في خلايا تكوين الدولة نفسها، إذ منذ البداية كان التعاقد السياسي غائباً، و النظام المدني الديمقراطي مُغيّباً، أو إن كان حاضراً، فحضوره إستعراضي، شكلي و هشّ المحتوى، و هذا يعني بأنه منذ البدايات الأولى للدولة كان توازن العلاقة بين السلطة و المجتمع مختلاً، أو في أغلب الحالات منعدماً، لأن دساتير الدول العربية الوطنية ولدت ناعمة الملمس و وردية البشرة، إلا إنها سلطانية المهجة و التيجان مختبئة في نواياها، و هذا ما جعل من دساتير هذه الدول، دساتير نظرية، رغم قانونيتها، إلا أن النظام العملي و المؤسسات الحكومية بجميع إختصاصتها تُطبق القوانين، حتى الدستوري منها، لصالح الحاكم، و تُكيّفها لصالح فئة معينة، لأن مفهوم الدولة نفسه في العقل الجمعي للمجتمعات العربية، هو مُشخصن: أي الحاكم هو الدولة، و الدولة هي الحاكم! و كما هو معروف فأن الشرعية للدولة الحديثة، تكون قائمة على الفصل الفعلي بين جميع السلط، و تكون المرجعية للقضاء، و يكون الشعب هو مصدر السلطات و تنبعث عنه من خلال إنتخابات نزيهة و حرة، فهل الأمر كذلك في الدول العربية؟ لا أعتقد ذلك، فالبلدان العربية مجزأة إلى دويلات، فما زال مفهوم الدولة ذات السيادة المستقلة حلماً لم يتحقق، بل أنه في ظل الظروف الراهنة، فأن هذا الحلم بات أشبه بالوهم، أمّا شرعيةً السلطة الديمقراطية و الدستورية و القانونية، ما زال يسيطر عليها النفوذ و الهيمنة و تديرها شبكة علاقات ضيقة و تكيفها حسب إرادة السلطة العليا...

و لا بد من الإعتراف بأن الواقع السياسي المتشرذم لجميع الدول العربية، من أسبابه الأساسية، هو إنه لم يعالج أزمة الشرعية، بل تجاهل وجودها أصلاً و لم يعر إهتماماً للبنية التاريخية لتكوين الدولة و لمسارها التاريخي و الثقافي و الإجتماعي المليئ بالعقبات و العوائق التي حالت دون تشكل نظام سياسي مدني ديمقراطي في أغلب الدول العربية، بل عسكرته لصالح الهيمنة على مقاليد الحكم و جعلت من المنظومة الأمنية سلاحاً قمعياً، و قوة فوق شرعية القوانين و الدستور، كذلك الأمر في المؤسسة العسكرية الخاضعة للسلطة السياسية، و التي بدورها مرتبطة بإرادة رئيس الدولة أولاً، الذي غالباً ما ينفرد بصناعة القرار الوطني، و بالتالي عدم الفصل بين السلطات هذا، و خاصة في المجال العسكري، غالباً ما يؤدي إلى إنقلابات عسكرية، لأن الجيش في الدول العربية دائماً تماهى مع السلطة السياسية، و كأنهما وجهان لعملة واحدة

هي السلطة: و لأن قلب المؤسسة العسكرية مرتبط إرتباطاً بنيوياً بالطاعة دون جدل، لذلك ما أن تمسك بمقاليد الحكم السياسي، فتسارع إلى قمع حريات المجتمع بما فيهم الحرية السياسية، و إلغاء التعددية و يبدو المجتمع و كأنه مؤسسة عسكرية على أفرادها تقديم فروض الطاعة و الولاء، فقط لرئيس الدولة، و الذي هو نفسه ربما كان زعيماً في المؤسسة العسكرية، ففي الدول العربية لا حدود بين المؤسستين العسكرية و السياسية، لذلك تنهار لشرعية الدستورية و القانونية، أو تبقى بالوناً يأخذ حجماً و شكلاً، لكن يبقى محتواه فارغاً، لا يمنح للمواطن حياة مدنية سياسية، فالمدنية السياسيه محكوم عـليها بوقف التنفيذ و الطاعة

لقرارات من هو على رأس الهرم، و الطبقة الوسطى التي يجب أن تلعب دوراً فاعلاً في نمو المجتمع و تطوير الحياة المدنية، لم يُسمح لها بدور سياسي يناسب العمق الثقافي و الإجتماعي و الحضاري لمجتمعاتها، أمّا الطبقة البورجوازية فقد عقدت قرانها مع السلطات السياسية و الأمنية و العسكرية عبر المال و الصفقات، و لم تهتم بالعمق الإجتماعي و الإقتصادي-السياسي و أبعادهم... و فيما يتعلق بالأحزاب، فقد كانت عبارة عن كليشيهات لا بد منها، تقوم بدورها الآلي، و الحزب ذو السطوة و القوة، غالباً ما يتحالف مع المؤسسه العسكرية للقيام بإنقلاب ضد السلطة السياسية لإعادة توزيع الأدوار داخل المنظومة ذاتها دون تطورات جذريه، و هذا من الأسباب المباشرة و السلبية في صناعة اللإستقرار، الذي أوصل اليوم المنطقة العربية بأسرها إلى هذه الشرذمة، فإنهيار الدول لا يأتي دفعة واحدة، بل على مراحل و بالتدريج، و الكل تجاهل هذه المراحل، لأن كل قبيلة، و عشيرة، و عصبيات دينية مشغول كلٌ بمّواله، و هذا ما أرادته أيضاً، و بصمت متعمّد، النخب السياسية و العسكرية و الأمنية، لأنه يناسبها في السيطرة على المجتمع لتثبيت حكمها و نفوذها، بل أن أغلب هذه النخب، خلقت مرجعيات سياسية شرعية موازية لشرعية الدستور و القوانين، بل تفوقه حزماً و فعالية على أرض الواقع، كما هو الحال، على سبيل المثال لا الحصر، في المراجع الدينية و العصبية القبلية في بلدان عربية عدة... و هذا أدخل أجيالهم الشبابية في حالة إنفصام و عزلة عن بقية العالم، لأنهم لا يعرفون، أو لم يعد يناسبهم أن يعرفوا كيف تُدار الحياة بمنطق هذه الشرعيات الضيقة... و الأخطر من كل هذا هو كيف تُدار الثروات في المنطقة العربية،

تتمة ص التالية

فقد تمت إدارتها بذات المنطق التعصبي و الديني، و ربما هذا ما أدى إلى خلق رأسمالية مالية دينية سمحت للإخوان المسلمين بمنافسة السلطة السياسية و الإنقضاض عليها، مستغلةً أيضاً إرهاق المجتمعات العربية و يأسهم من مؤسسات دولهم الديكتاتورية القمعية... لذلك يبدو رجل الدين في عيون هذه المجتمعات أباً روحياً و زعيماً سياسياً قادراً على هزيمة السلطة السياسية العقيمة و كل من حولها من إنتهازيين سياسيين، وصلوا إلى مناصب الدولة من خلال إنتخابات شكلية و غالباً متلاعب بها لأن السلطة المركزية هي من بيدها خيوط اللعبة... هذه الأسباب مجتمعة، أدت أيضاً إلى فشل التغيير، ثم جاءت العولمة لتزيد المهشّم بعثرةً، و لتمنح للإمبريالية الإستعمارية الصهيونية بإعادة ترتيب أوراق "إنتدابها" و إعادة رسم خرائط المنطقة الجغرافية و الديموغرافية و الإقتصادية و حتى الدينية، بما يتناسب مع إستراتيجياتها الجيوسياسية الجديدة... و يبقى السؤال الحائر فارضاً نفسه، ما الحل للخروج من هذا النفق؟ و الجواب نفسه يطرح أسئلة أكثر تعقيداً: كيف نحرر العقل الجمعي من الموروث السياسي المشوّه؟ ما الطرق و المنهجيات التي يمكن أن تخلق وعي جمعي يحترم القانون و يرسم حياته على أسسه، دون أن يُفرط بالضرورة، بعلاقاته مع التراث و التقاليد و ثقافات مجتمعه؟ كيف يمكن نشر تربية سياسية جديدة، مبنية على العلاقة التعاقدية بين الحاكم و المحكوم، يكون فيها الولاء فقط لهوية واحدة وطنية جامعة؟ و الأهم أيضاً كيف يمكن التحرر من النخب العربية الرجعية في رؤيتها و المرتبطة وجودياً بدعم الغرب لها؟ هل يمكن خلق زعامات وطنية قادرة و صادقة على الدفع بالواقع نحو إتجاهات واعدة، مستقلة و وطنية من أجل خلق أمة واحدة، متنوعة، متناسقه، و مكمّلة لبعضها البعض؟ هل يمكن للمثقفين العرب أن يجتمعوا على مشروع واحد، يُقنع الحاكم و المحكوم، بأن الدولة مؤسسات، و بأن المؤسسات هذه لا تقوم على أساس الحاكم فقط؟

من يُخرج المال العربي من عجزه بأن يخلق سياسات تنموية مستقلة للمجتمعات العربية، و هل فعلاً يستطيع المال العربي أن يتحرر من قيود المؤسسات المالية العالمية؟ و إن إستطاع أن يكون المال العربي فاعلاً فمع أية دولة سيتعامل و يتفاعل؟ فـالدول العربيـــة الحالية ليست إلا إنعكاسات لمرحلة ما بعد الإستعمار القديم، و رهينة الإستعمار الجديد... فشكل الدولة كما هو عليه اليوم، لم يعد يُرضي مؤسسات المجتمع المدني، و لا العشائر أو القبائل، و لا الأحزاب و لا اليساريين، أو التقدميين و الليبراليين و لا حتى المؤسسات الدولية، فجميعهم يعتبر الدول العربية دول لم تعد قادرة على الإلتزام بدورها القيادي، و هذا الوضع المآساوي لحال الدولة العربية اليوم، أدى إلى تبعيات أكثر خطورة، فقد بدى للبعض بأن إتباع المشروع الصهيوني الغربي في تفكيك المجتمع و الدولة و المطالبة بإستقلالية كل إثنية و تقسيم الدولة إلى دويلات هو الحل لأن الدولة العربية فشلت في إنتاج هوية وطنية جامعة...

و بدلاً من أن يتفق المجتمع و الدولة على صياغة تعاقد جديد يُنقذهما من الإنهيار، إلا إن طبيعة النظام السياسي المغلق و الإستبدادي، الذي يتشابه في حقيقة الأمر مع النظام الثقافي للمجتمع العربي، و التي بنيته هي الأخرى ذو طبيعة مغلقة و مهيمنة، و هذا الإستبداد يتجلى في العائلة، و في شكل العلاقة بين الزوج و الزوجة، البنات مع والديهما، الوالدين مع أبنائهم، في المدرسة و في المؤسسات و دوائر العمل، و الهيمنة في شكل العلاقات أدى إلى إنتاج إزدواجية أخلاقية، دفعت بمجتمع كامل أن يشارك الدولة بفسادها و أن يُسهّل عليها تطبيق و إستمرار منظومتها الإستبدادية، و بالتالي ربما خلق في اللاشعور الجمعي، شعور اللامبالاة أو عدم الإيمان الكافي بمبادئ المواطنة، أو الإنتماء لكيان سياسي يمثل المصلحة العامة لكل من هو تحت ظل الهوية الواحدة الوطنية الجامعة، لأن المواطنة لا تعني تذويب الهويات الدينية و العرقية و المذهبية، بل إحترامهم و دمج ولائهم لهوية وطنية واحدة تجمعهم، و على الدولة أن لا تنحاز لأي مكوّن من مكونات المجتمع، بما فيه حقوق الذكر و حقوق الأنثى، و أن تتجنب ما يدفع المجتمع إلى الإنقسامات، فـــفي داخل إطار المواطنة، الكل سواسيه... اليوم تآكل أسس الحكم بات واضحاً في الدول العربية، و الدولة في مأزق حقيقي و يجب أن تنقذ ذاتها من خلال تعاقد سياسي جديد مع المجتمع و أن تعيد بناء شرعيتها السياسية من خلال إزالة العوائق البنيوية التاريخية الإجتماعية والثقافية و الإقتصادية و السياسية التي قلّصت شرعيتها و منعتها من بناء نظام مدني مبني على العدل.

اليوم يبدو و كأن الأمر مستحيلاً، و لكن التحولات تُصنع بالفكر و الإرادة و الصبر الحكيم. فهل يمكن للمثقفين العرب أن يجتمعوا على مشروع واحد، يُقنع الحاكم و المحكوم، بأن الدولة مؤسسات، و بأن المؤسسات هذه لا تقوم على أساس الحاكم فقط؟ بل من أجل خلق أمة واحدة، متناسقه، و مكمّلة لبعضها البعض.

** يُعزى عجز العديد من الدول العربية عن احتواء الأزمات وحفظ سيادتها إلى منظومة من الاختلالات البنيوية العميقة، أبرزها غياب المؤسسات الديمقراطية، هيمنة المصالح الضيقة، والاعتماد المفرط على القوى الخارجية. ينتج عن هذا التراجع تداعيات كارثية على الأمن القومي، وتُبرز التحليلات السياسية هذا العجز عبر عدة عوامل جوهرية:

ـ غياب الشرعية والمشاركة الشعبية:
يؤدي تهميش الإرادة الشعبية وغياب الديمقراطية إلى فجوة ثقة عميقة بين الأنظمة والمواطنين، مما يضعف الجبهة الداخلية عند مواجهة التحديات.

ـ ضعف المؤسسات الوطنية:
في الكثير من الحالات، تُدار الجيوش ومؤسسات الدولة لحماية النظام الحاكم بدلاً من حفظ سيادة الأوطان وحدودها، مما يعرضها للانهيار أمام الأزمات الداخلية أو التدخلات الأجنبية.

ـ التدخلات الخارجية والتبعية:
تفتقر العديد من النظم لقرارات سيادية مستقلة، وتستمد شرعيتها أو بقاءها من القوى الدولية والإقليمية، مما يجعلها عاجزة عن رفض الإملاءات الخارجية.

ـ تغليب المصالح الفئوية:
تفضّل بعض الأنظمة الحفاظ على مكاسبها وثرواتها على حساب المشاريع التنموية والأمن القومي الشامل.

***

آراء حرة

رسالة مفتوحة (جداً)... إلى سيادة المسؤول

حيدر حسين سويري

رسالة من أحد المواطنين إلى سيادة المسؤول:

سيادة المسؤول، من رخصتك ومن غير فشار وغلط (لأن أخلاقنا ما تسمح ولأن الكلمات أصلاً تعجز) بس عندي دعاء صغير نابع من القلب، على غرار دعاء الفنان عادل امام في مسرحية الزعيم:

إن شاء الله يا رب تتمرض فد يوم مرض حليّو، وياخذوك بركضة لمستشفى "الجوادر" .. وهناك، تبدي الرحلة السحرية...

الفصل الأول: في رحاب الطب الحديث!

يدخلوك على الدكتور الخفر؛ شاب بعمر الورد، لابس كَلادة وسوار، ومكنك على الموبايل بكل جوارحه، بحيث لو تموت كَدامه ما يباوع على خلقتك الزفرة. هذا الدكتور الشاب راح يفتح الدولاب (اللي مقفول بسبع قفول خوفاً من البوگة) ويطلع جهاز الضغط. يقيس ضغطك ويلكَاه صاعد فول، فيكتبلك مغذي "من برة" طبعاً. ينوموك على سدية تاريخية، محناية بالدم والروائح المعفنة مثل ريحتك، ويركض أخوك المكَرود للصيدلية البرانية يجيب المغذي. يرجع ينطيه للمضمد، والمضمد يكتشف بكل برود: "أوه.. نسينا الكانولة مدري الكالونة!". يرجع أخوك للصيدلية يلكَاها معزلة. هنا المضمد، ابن حلال، يقترح حل عبقري: "شرايكم نشدله كانولة مستعملة من سلة النفايات؟ وتطلع مال واحد بيه إيدز، شبيها؟ غسل ولبس!".

يبدي يملخ بأيدك ويدور ورا الوريد ويختفي الوريد. وبما إنه القطن خلصان، فيمسح الدم ببردة الغرفة، ورش عليه ديتول مال أرضيات من باب التعقيم. تالي ما دبرها، فصاحوا على الفرج.. المضمدة "خوخة".

الفصل الثاني: خوخة والسايبة الضائعة

ورى ساعة كاملة تجي الست خوخة، وبنفس اللحظة اللي تريد تشد بيها الكانولة، يخابروها على مريض ثاني. فتعوفك وتروح. ورا ساعة ثانية ترجع وهي تتنغوص والهيدفون بإذنها: "شلون نبطل؟ ما نخابر؟"

بهالأثناء، ومن ورا القهر، تضربك جلطة ثلاثية الأبعاد! يقررون يحولوك لمستشفى "ابن النفيس". تروحون لأبو الإسعاف، يباوع عليكم ويقول: "والله ما عندي بانزين، أجروا سيارة!". تأجرون "سايبة"، سايقها سكران طينة ومضيع شوارع بغداد كلها. توصلون الفجر، المستشفى كلها نايمة. تطلع دكتورة، لابسة حصر وتعلج بكل ثقة، وتكَللكم ببرود: "وين الرنين؟ وين الإيكو؟ وين المفراس؟ سووهن وتعالوا حتى أشوف حالته". تروح للرنين، يكَلولك: "عيني سراك بعد شهر، اتفضل استريح".

الفصل الثالث: ما بعد الحياة.. الخدمات مستمرة!

يرجعوك للبيت مشلول، ومحد يداريك، لحد ما يلكَوك ميت بفراشك الساعة الواحدة ظهراً. ياخذوك حتى يطلعولك شهادة وفاة، وطبعاً ما تطلع إلا بـ (40 ألف دينار) كاش ونقد. بين ما تخلص الإجراءات، ينتهي الدوام الرسمي! فتضطر تبات بالثلاجة مال الأموات. وبقدرة قادر تطفا الكهرباء (الوطنية والخط)، ويجون أهلك الصبح يلكَوك معفن وجاهز. ياخذوك ويركضون بيك للنجف. هناك بالدفن، يطلعلك "علي العمية"، يوكَف الجنازة ويصيح: "ما أدفنه إلا أخذ صورة وياه!". ينشر صورتك وياه ويحصل مليون لايك على حسابك. يجون يحفرون القبر، يطلع الأرض كلها صخر، وما يكمل القبر للمغرب.

دورة حياة المسؤول

قبل الأربعين مالتك، تطلع البلدية، ويكَصون كَبرك ويشيلوه، لأن دافنيك بنص شارع من شوارع المقبرة، وتضيع معالمك تماماً.

*ورا 50 سنة: يصير مكان قبرك فندق خمس نجوم، والمجاري تخر فوق راسك.

*ورا مئات السنين: تتحلل وتتحول إلى نفط خام.

*المفاجأة الكبرى: يستخرجونك ويصدروك للصين. بالصين يعيدون تدويرك وتصير *"تاير مال سايبة" موديل 5000م! ويصدرون التاير للعراق، ويشتريه سايق سايبة جديد. ورا 3 أيام بالضبط من المشي بشوارعنا المكسرة، يطق التاير (اللي هو أنت) ويذبوك بالزبالة. تجي الجهال بالليل، يحركَون التاير بليلة من ليالي عاشور، وتتحول إلى رماد أسود تذروه الرياح.

بقي شيء...

من سيادة مسؤول وهيبة، إلى تاير سايبة بمزبلة.. يشماتت أبله طازه!

** يُعد تراجع الخدمات وسوء التطبيب في المستشفيات الحكومية بالعراق أزمة مزمنة ناتجة عن نقص حاد في الأدوية والمستلزمات الأساسية، وهجرة الكفاءات الطبية، والتردي العام في البنى التحتية. أبرز أسباب تدني الرعاية: نقص الكوادر المتخصصة: هجرة آلاف الأطباء منذ عام 2003 خلقت فجوة هائلة، مما أدى إلى اعتماد المستشفيات على الأطباء المقيمين والمبتدئين.

شح الأدوية والمستلزمات: تفتقر العديد من المستشفيات للأدوية الحيوية، مما يضطر المرضى لتأمينها على نفقتهم الخاصة.

الفساد وسوء الإدارة: يؤثر سوء التخطيط وتوزيع الموارد على نظافة المستشفيات وجودة الرعاية المقدمة.

الإهمال وسوء التشخيص: تتسبب الأخطاء التشخيصية والجرعات الدوائية الخاطئة في تدهور حالة المرضى أو وفاتهم.

قراءات

في دهاليز النرجسية العصابية:
تشريح سيكولوجي لـ » المهيب الركن «

أسعد عبدالله عبد علي

في باصٍ يزحفُ ببطءٍ شديدٍ نحوَ باب المعظم، كنا نتجرعُ مرارةَ الوقت في ازدحامٍ خانق؛ وسط هذا الضجر نَعَقَ أحدهم بملامح جادة ونبرةٍ يملؤها الحنين قائلاً: "في زمن صدام لم نكن نواجه هكذا ازدحامات.. لأن القيادة كانت رجولة وقوة."!

لم أتمالك نفسي، وانفجرتُ بضحكةٍ مجلجلةٍ هزت أركان الباص الساكن، حتى التفتتْ إليَّ العيون مستغربة ومترقبة... نظرتُ إلى صاحب النعيق قائلًا بصوتٍ مسموع: "بربّك.. أكان صدام رجلاً وقوياً؟! متى تجلت هذه القوة؟ أفي قتل رفاقه غدراً في قاعة الخلد؟ أم في تصفية ابن خاله عدنان خير الله غيلة؟ أم في هزائم حرب إيران العبثية، وتدمير ما تبقى من الجيش في مغامرة الكويت؟ أم تراه كان قوياً وهو يورد البلد موارد الهلاك بحصارٍ خانقٍ فرضته حماقاته ونرجسيته؟ أم كانت ذروة الرجولة في هروبه عام 2003 واختبائه في حفرةٍ ضيقةٍ كأي جرذٍ ذليل؟."

لم أكد أتمّ كلماتي حتى ضجّ الباصُ بضحكٍ جماعيٍّ عارم، وتلاشتْ هيبةُ الطاغية المدّعاة تحت أقدام الحقيقة الساخرة. أما ذلك الرجل، فقد التجمه الصمتُ لثوانٍ، ولم يتحمل نظرات السخرية التي حاصرته من كل جانب، فصاح بالسائق بقلة حيلة: "قف.. قف.. نازل."!

هذه الحادثة العابرة، بكل ما تحمله من دلالات سيكولوجية، دفعتني للتأمل في سلوك هذا الديكتاتور ومحاولة تفسيره؛ إذ لطالما ارتبطت صورة الطغاة في الوعي الشعبي المأزوم بمفاهيم مشوهة عن القوة، بينما الحقيقة تكشف أن سلوك صدام لم يكن يوماً نابعاً من شجاعةٍ حقيقية، بل من "عقدة نقص" مزمنة وتضخمٍ مرضيّ في الأنا.

تشريح صدام

إن الحديث عـن سيكولوجية صدام حسين لـــيس مجرد بحثٍ في دهاليز السياسة وخباياها، بل هو إبحارٌ عميق في غياهب نفسية مأزومة ومعقدة، كانت تُدار وتُحرّك بـآليات دفاعية وهجومية عنيفة تتلخص في ثلاثة محاور رئيسية لا تنفصم، شكلت معاً النواة الصلبة لكل قراراته التاريخية والدموية، وهي: عقدة النقص الأزلية، والنرجسية الخبيثة، وجنون الارتياب المرضي.

وتتجلى المحطة الأولى في "عقدة النقص الأزلية" التي نبتت جذورها في طفولته القاسية والبيئة الطاردة التي نشأ فيها؛ حيث الحرمان، وغياب الأب، وقسوة زوج الأم، والنبذ الاجتماعي في قرية صغيرة. هذه التفاصيل ولّدت لديه شعوراً مزمناً بالدونية والمهانة، مما دفعه مبكراً للبحث عن وسيلة للتعويض واثبات الذات بالقوة والتمرد، فتحولت تلك العقدة بمرور الوقت من رغبة في التحرر إلى شهوة عارمة للسيطرة والتحكم، وكأن لسان حاله يريد الانتقام من ماضيه عبر إخضاع الآخرين، فصار يرى في الخضوع التام من حوله الطريقة الوحيدة لطمس تلك الدونية الكامنة في أعماقه.

هذا التعويض العنيف تماهى سريعاً مع المحور الثاني وهو "النرجسية الخبيثة"، حيث تضخمت الأنا لديه لدرجة جعلته يرى نفسه منقذاً تاريخياً وبطلاً قومياً لا يُخطئ، يتجاوز حدود البشر العاديين ليتشبه بشخصيات التاريخ الكبرى؛ فصاغ لنفسه هالة من القداسة والبطولات الوهمية، وصارت جدران وشوارع العراق ومؤسساته مسرحاً لتمجيد ذاته من خلال الصور والنصب التذكارية والمقالات التي لا تنتهي.

وفي ظل هذه النرجسية الخبيثة، تحول الوطن بأسره إلى مجرد ملكية خاصة مكرسة لخدمة اسمه وتخليد ذكره، فصارت أرواح المواطنين وثروات البلاد مجرد وقود رخيص يُحرق في سبيل إرضاء كبريائه ونزواته الشخصية، حيث لا قيمة لأي إنسان خارج مدار طاعته وتمجيده.

أما المحور الثالث الذي حكم تصرفاته فهو "البارانويا المرضية وجنون الارتياب"؛ فالديكتاتور الذي يعيش في قمة هرم السلطة المغتصبة لا يمكنه الوثوق بأحد. كان صدام يعيش هاجساً قسرياً يرى من خلاله المؤامرات تحاك ضده في كل زاوية، وفي عيون أقرب مقربيه ورفاق دربه. هـذا الارتياب المرضي لـم

يكن مجرد خوفٍ عابر، بل تحول إلى سلوك تنفيذي دموي؛ فكان يستبق الشك باليقين، ويسارع بقطع الرؤوس قبل أن تفكر بالتمرد، وهو ما يفسر تصفياته الدموية المتكررة لرفاق حزبه وأبناء عائلته، حيث تحول الخوف من الغدر إلى عقيدة حكم تجعل من سفك الدماء وسيلة وحيدة للاستقرار النفسي والسياسي، ليصبح هذا الثالوث السيكولوجي الأسود (النقص، والنرجسية، والارتياب) هو الشيفرة الفعلية التي فككت النسيج الاجتماعي والسياسي للعراق، وقادت البلد نحو كوارث وحروب ومغامرات انتحارية متلاحقة.

لغز الأب المفقود:

الطفولة الشرسة والبحث عن "الذات البديلة " في طفولة صدام يكمن مفتاح جحيمه النفسي. غياب الأب (سواء بالوفاة أو الهجر) قبل ولادته، ونشأته في بيئة قاسية تحت وطأة زوج أم عنيف (حسن الإبراهيم)، خلق لديه ما يسمى في علم النفس "الرفض الأولي."

لماذا لم يذكر أباه؟ لأن الأب في ذهنه كان مرادفاً للعدم والضعف والتخلي. الصبي الذي نُبذ وعُيّر بـ "اليتيم" في قرية العوجة، قرر واعياً أو غير واعي أن يمحو اسم أبيه البيولوجي من ذاكرته، ويستعيض عنه بـ "صناعة ذات أسطورية". لم يكن هناك أب يستحق الفخر، فصنع من نفسه "الأب الرمزي" للعراق بأكمله، ليغطي على جرح الطفولة النازف.

مجزرة قاعة الخلد (1979):

تدشين "سيكولوجية الرعب الشامل "عندما اعتلى صدام عرش السلطة رسمياً، لم يكن يبحث عن الولاء، بل كان يبحث عن "الخضوع

تتمة ص التالية

المطلق المدفوع بالدم". في قاعة الخلد، تخلص من رفاق حزبه في طقس تصفية سريالي.

هذا السلوك يمثل ذروة "البارانويا الاستباقية". النرجسي الخبيث يرى في الشركاء مشاريع خونة محتملين. ومن خلال إجبار بقية أعضاء القيادة على إطلاق النار بأنفسهم على زملائهم، حقق صدام غايتين: كسر كبريائهم ونفوسهم، وجعلهم شركاء في الجرم فلا يجرؤ أحد على الانقلاب عليه. كانت القاعة مسرحاً لإعلان "الإله الأرضي" الذي بيده الحياة والموت.

تصفية الأقارب (عدنان خير الله وحسين كامل):

عندما يلتهم العرش صناعه إن قتل ابن خاله عدنان خير الله (في حادث مروحية غامض) وتصفية صهره وابن عمه حسين كامل بعد عودته من الأردن، يثبت أن "القرابة" عند صدام هي مجرد امتداد لـ "الأنا" الخاصة به، فإن شكلت تهديداً، بُترت فوراً.

عدنان خير الله كان يتمتع بشعبية جارفة في الجيش، والشعبية عند الديكتاتور هي "خطيئة مميتة" تطعن في نرجسيته. أما حسين كامل، فقد مثل "الخيانة العظمى" في الدائرة اللصيقة. النرجسي لا يغفر لمن كشف عورته السياسية أو تحدى سلطته. القتل هنا ليس حقداً شخصياً بقدر ما هو آلية دفاعية لحماية العرش، فالعرش يتسع لواحد فقط، حتى لو كان الثمن دماء العائلة.

الحرب العراقية الإيرانية (1980):

عقدة "حارس البوابة الشرقية "لم يكن الصراع مع إيران مجرد خلاف حدودي، بل كان صدام يرى في الثورة الإسلامية عام 1979 تهديداً وجودياً لكيانه، ومنافساً على زعامة المنطقة.

تحرك صدام بدافع "فوبيا الابتلاع"؛ كان يخشى أن تبتلع الثورة الإيرانية هيبته وحكمه من خلال تحريك الداخل العراقي. في المقابل، تضخمت لديه "أنا الزعامة"، فتقمص دور القائد التاريخي (سليل نبوخذ نصر وسعد بن أبي وقاص) الذي يحمي الأمة. لذا كان الهجوم عام 1980 محاولة نفسية لفرض القوة الردعية وإثبات تفوقه الشخصي على "العدو التاريخي." كما يحاول ترسيخه في عقول اتباعه.

غزو الكويت (1990):

انتحار العظمة العسكرية بعد خروج العراق من حرب الثماني سنوات بجيش ضخم واقتصاد متهالك، شعر صدام أن "الخناق" يضيق عليه مالياً وسياسياً من قبل دول الخليج والغرب.

هنا يعاني الديكتاتور النرجسي مما يسمى "العجز عن التراجع". عندما شعر بالإهانة الاقتصادية (بسبب أسعار النفط والديون)، تملكه جنون العظمة العسكري. اعتقد أن العالم الذي ساند ضد إيران لن يجرؤ على مواجهته. غزو الكويت كان تفجيراً لـ "عقدة الحصار"، ومحاولة بائسة لإعادة الهيبة عبر التوسع والسيطرة، متجاهلاً كل الحسابات المنطقية.

إبادة الأكراد (1989) ووحشية قمع الجنوب (1991)

تجلت سادية النظام بأبشع صورها في عمليات الأنفال وحلبجة ضد الأكراد، وفي قمع "الانتفاضة الشعبانية" في الجنوب بعد حرب الخليج.

بالنسبة لصدام، أي تمرد داخلي هو "خيانة وجودية" وازدراء لشخصه. الأكراد في الشمال وأهل الجنوب في 1991 لم يهددوا النظام سياسياً فحسب، بل حطموا صورة "الأب القائد المحبوب" التي صنعها لنفسه. العقاب الجماعي والوحشية المفرطة كانا وسيلته لإعادة ترميم نرجسيته الجريحة، وإرسال رسالة رعب مفادها: أن ثمن التفكير في الخروج عليّ هو الفناء الشامل.

الحملة الإيمانية (1993):

قناع البراغماتية والملجأ الأخير بعد الحصار الخانق والهزيمة في الكويت، أطلق صدام "الحملة الإيمانية" وشهد المجتمع تحولاً قسرياً نحو المحافظة الدينية.

لم تكن الحملة صحوة روحية ذاتية بقدر ما كانت "مناورة سيكولوجية براغماتية". عندما تداعت شرعيته القومية والاشتراكية، لجأ إلى الشرعية الأكثر تجذراً في وجدان الشعوب: "الشرعية الدينية". خط بيده "الله أكبر" على العلم، ليقول لخصومه وشعبه: إن محاربتي هي محاربة للدين. كان هذا الهروب إلى الغيبيات ملجأً نفسياً للديكتاتور المحاصر لتبرير المعاناة كـ "ابتلاء إلهي."

السؤال هل كان صدام سايكوباتي؟

تؤكد الدراسات السيكولوجية لشخصية صدام حسين أنه كان يمثل النموذج الصارخ لـ "النرجسية الخبيثة"، وهي متلازمة نفسية معقدة تشكّل السيكوباتية (الاضطراب المضاد للمجتمع أحد أركانها الأساسية.

لم يكن الرجل مصاباً بالجنون أو فاقداً للأهلية، بل كان يمتلك عقلاً إجرامياً شديد اليقظة والقدرة على التخطيط والمناورة، لكنه مجردٌ تماماً من أي وازع أخلاقي أو إنساني. وتجلت سيكوباتيته في انعدامٍ تام للتعاطف أو الشعور بالذنب تجاه ضحاياه، مع ميلٍ بنيوي للسادية والتلذذ بالقسوة وفرض السيطرة المطلقة؛ حيث كان يرى في التصفية الدموية لخصومه ورفاقه، وحتى أفراد عائلته، مجرد أدوات وظيفية ضرورية لتثبيت أركان حكمه.

امتزج هذا السلوك السيكوباتي بتضخم مرضي في الأنا (النرجسية) جَعَله يرى في العراق وشعبه ومقدراته ملكية خاصة ووقوداً رخيصاً لتخليد اسمه التاريخي، مدفوعاً ببارانويا (جنون ارتياب) قهرية جعلته يرى المؤامرات في كل عين تنظر إليه، فيستبق الشك بالقتل؛ مما جعل من تركيبته النفسية أداة تدمير شاملة قادت البلد نحو كوارث وحروب ومغامرات انتحارية متلاحقة دون أي وخز للضمير.

خاتمة: سقوط الهالة وانكشاف الحفرة

ان الرحلة الطويلة التي قطعها صدام من قاع التهميش واليتم في قرية "العوجة" إلى قمة "المهيب الركن"، لم تكن في جوهرها سيرة قائدٍ بنى مجداً لوطنه، بل كانت رحلة انتقامٍ محمومة خاضتها نفسٌ مأزومة ضد ماضيها وضد العالم بأسره. لقد أثبتت المحطات المفصلية في تاريخ العراق الحديث أن كل الحروب، والتصفيات، والمجازر، والقرارات الانتحارية التي اتخذها هذا النظام، لم تكن حسابات استراتيجية تخضع للمنطق السياسي، بل كانت مجرد تلبية لنداءات قسرية يمليها ذلك الثالوث السيكولوجي الأسود: النقص المكتوم، والنرجسية المتضخمة، والارتياب القاتل.

ومع كل الاستعراضات الدموية وبطولات المذياع الزائفة، فإن المشهد الختامي لعام 2003 يظل هو التفكيك السيكولوجي الأبلغ لهذه الشخصية. فحين انقشعت هالة القداسة، ووضعت "الأنا الزعامة" في مواجهة حتمية مع الواقع دون دروع بشرية أو أجهزة قمع، تلاشت كاريزما "القائد الملهم" المزعومة في ثوانٍ؛ ليعود الصبي القديم إلى طبيعته الأولى خائفاً، ذليلاً، يبحث عن جحرٍ يواريه تحت الأرض كأي جرذٍ يحاصره الفزع.

إن تلك الحفرة الضيقة لم تكن مجرد مخبأ عسكري، بل كانت نهاية رمزية وسيكولوجية تليق بنرجسيّ خبيث تساوى عنده البشر والجماد في سبيل بقائه، واختصاراً درامياً لزمنٍ كامل أُهدرت فيه مقدرات وطنٍ عظيم لخدمة مأساة رجل واحد.

آراء حرة

« سيكولوجيا ثورة 14 تموز 1958.. بين الأسئلة التاريخية والدروس المستخلصة للحاضر والمستقبل»

د. عامر صالح

تحل في 14 تموز الجاري الذكرى ال 68 لثورة تموز التي اطاحت بالنظام الملكي ووضعت العراق في عهد جديد تجسد في النظام الجمهوري والأنتقال من الملكية الوراثية صوب محاولات تأسيس نظام جمهوري قابل للحياة والبقاء بعيدا عن الأستحواذ على السلطة والتعسف في ممارستها إلا أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، حيث مرت الجمهورية الوليدة بصعوبات ذاتية وموضوعية ولم يمر على عمرها خمس سنوات كاملة حتى تحولت إلى مسلسل من الأنقلابات التي اغرقت العراق في محطات من اللاأستقرار والفوضى واستباحة المحرمات والحروب العبثية حتى سقوط النظام الدكتاتوري في العراق في العام 2003 وقيام نظام المحاصصة الذي تنكر للجمهورية الأولى مع العلم ان النظام اليوم هوجمهوري في دستور العراق للعام 2005 وهو امتداد لجمهوريته التي نشأت في العام 1958 ولكن الأسلام السياسي المتحالف مع الأقطاع ذو حساسية مفرطة ويكن العداء للقوى المحركة لثورة تموز الأولى تجعله في متاهات عدم الأعتراف كون النظام اليوم هو جمهوري.

تُعدّ ثورة 14 تموز 1958 من أكثر الأحداث تأثيراً في التاريخ السياسي العراقي الحديث، ولا يمكن فهمها من خلال العوامل السياسية والعسكرية فقط، بل أيضاً من خلال أبعادها النفسية والاجتماعية.

من منظور علم النفس السياسي، جاءت الثورة نتيجة تراكم طويل من مشاعر الإحباط والحرمان النسبي لدى قطاعات واسعة من المجتمع العراقي. فقد شعر كثير من العراقيين بوجود فجوة بين تطلعاتهم الوطنية والاجتماعية وبين الواقع السياسي الذي مثّله النظام الملكي آنذاك. هذا الشعور ولّد حالة من التوتر النفسي الجمعي والاستعداد لتقبّل التغيير الجذري.

كما لعبت المشاعر الوطنية دوراً مهماً في تشكيل الوعي الجمعي. فقد ارتبطت الثورة بأحلام التحرر الوطني والاستقلال الكامل عن النفوذ الأجنبي، الأمر الذي منحها زخماً عاطفياً كبيراً لدى الجماهير. وفي هذا السياق برز دور عبد الكريم قاسم بوصفه رمزاً للقائد القريب من الفئات الشعبية والمعبّر عن آمالها.

ومـــن الناحية النفسية، مثّلت الثـــورة انـــتقالاً مـــــن "سيكولوجيا الخضوع للسلطة التقليدية" إلى "سيكولوجيا التمرد والتغيير". فقد شعر المواطن العادي بأنه أصبح فاعلاً في صناعة الحدث السياسي، مما أدى إلى حالة من الحماس الجماهيري والتعبئة الشعبية الواسعة.

لكن في المقابل، حملت الثورة أيضاً بذور الاستقطاب النفسي والسياسي. فبعد نجاحها ظهرت انقسامات حادة بين التيارات القومية والشيوعية والإسلامية، وتحولت مشاعر الوحدة الوطنية الأولى إلى صراعات حول الهوية والسلطة ومستقبل الدولة. وهنا يمكن الحديث عن انتقال المجتمع من نشوة الثورة إلى قلق الصراع على الشرعية.

يمكن تفكيك سيكولوجيا الثورة إلى عدة محاور نفسية واجتماعية :

1.سيكولوجيا الاحتقان والشعور بالاغتراب:

عاش المجتمع العِراقي قبل عام 1958 حالة من "الاغتراب النفسي والسياسي"؛ فبينما كانت النخبة الحاكمة (الملك، الوصي عبد الإله، ورئيس الوزراء نوري السعيد) مرتبطة وثيقاً بالسياسة البريطانية (حلف بغداد 1955)، كان الشارع والجيل الجديد من المتعلمين والضباط يتنفسون الفكر الوطني والتحرري المتأثر بفكر اليسار العراقي الى جانب التأثر بالفكر القومي. هذا التباين خلق فجوة نفسية عميقة جعلت العِراقي يشعر بأنه "غريب في وطنه"، وأن القرار ليس عراقياً خالصاً.

2.العقل الجمعي وسيكولوجيا "الصدمة والتفريغ"

امتازت الساعات الأولى للثورة باندفاع الجماهير نحو الشوارع بحالة من "الهستيريا الجماعية الفرحة" وعاطفة جياشة جرفت الجموع. سيكولوجياً، يفسر هذا على أنه تفريغ انفعالي مفاجئ لسنوات من الكبت السياسي والفقر المدقع (الجراديغ والصرائف العشوائية المحيطة ببغداد)، تحولت مشاعر العجز والمهانة أمام "السياسة الاستعمارية" إلى شعور مفرط بالقوة والتحرر بمجرد سماع البيان الأول من الراديو.

3.سيكولوجيا العنف والانتِقام

أحد الجوانب السيكولوجية القاسية في الثورة كان العنف الجماهيري الذي واكب مقتل أفراد العائلة المالكة ونوري السعيد. في علم النفس الاجتماعي، يُحلل هذا السلوك (السحل والقتل والتمثيل بالجثث) بأنه انعكاس لـ "العدوان المنقول"؛ حيث ينظر العقل الجمعي الغاضب إلى أجساد الرموز الحاكمة كـ "تجسيد مادي" لكل مظالم الماضي، والمجاعة، والإقطاع، وظلم القوانين العشائرية. غاب العقل الفردي وحلّ محله "عقل الحشد" الذي لا يرى في القتل جناية، بل يراه "تطهيراً كليا" للبلاد مـــن الحقبة

القديمة، وهو عمل لا اخلاقي ومدان بكل المقاييس بعيدا عن الأسباب النفسية.

4.سايكولوجيا "الزعيم الأوحد" وعبادة الشخصية

بعد نجاح الثورة، تمحورت السيكولوجيا الجماهيرية حول شخصية عبد الكريم قاسم الذي لُقِّب بـ "الزعيم الأوحد" و "محرر الفقراء."

سيكولوجيا الأبوة البنيوية: تماهى العِراقيون (خاصة الطبقات المسحوقة في صرائف بغداد التي تحولت إلى "مدينة الثورة") مع قاسم. رأوا فيه "المنقذ" أو "الأب الحنون" الذي يعيش ببساطة وينام على الأرض ولا يملك عقاراً ويتقاضى مرتبا كأي موظفا عادي .

النكوص والاتكالية النفسية: أدى هذا التماهي إلى اتكالية الجماهير على رمزية البطل الفرد، مما جعل التجربة الديمقراطية والمؤسساتية متعثرة؛ فالشعب لم يعد يبحث عن نظام، بل عن "مخلّص".

5.سيكولوجيا الانقسام والتشظي اللاحق (تأثير الدومينو النفسي)

سرعان ما تحولت سايكولوجيا "الوحدة شبه المطلقة" التي ظهرت يوم 14 تموز إلى سيكولوجيا "الشك والتخوين المتبادل"، حيث انقسم الشارع سيكولوجياً وفكرياً إلى معسكرين حادين :

التيار القومي/البعثي: يرى الثورة خطوة أولى نحو "الوحدة العربية الفورية" مع مصر فوقف معاديا وعدوانيا في سلوكه ضد الثورة .

التيار الشيوعي/اليساري وقاسم: يركز على "الوطنية العراقية" العراق أولا" والخصوصية المستقلة" والإصلاح الداخلي أولاً ومحاولات النهوض بالعراق.

تحول الصديق إلى عدو، وسادت سيكولوجيا المؤامرة والمخاوف الوجودية من الآخر، مما مهد الطريق للعنف الدموي اللاحق في العديد من المحافظات العراقية، وصولاً إلى نهاية قاسم نفسه وأستشهاده في 8 شباط 1963.

سيكولوجيا ثورة 14 تموز 1958 تلخص سيكولوجيا "الانفجار من القاع". لقد نقلت الشخصية

تتمة ص التالية

العراقية من ضفة الاستكانة والكبت إلى ضفة الفعل العنيف والمشاركة المباشرة في صنع التاريخ، لكنها في الوقت نفسه كرّست "عقدة البطل المنقذ" وشرعنت العنف السياسي كأداة للتغيير، وهي الآثار النفسية والاجتماعية التي ظلت ممتدة في الوجدان العِراقي لعقود طويلة لاحقة.

مع كل مناسبة سنوية لذكرى الرابع عشر من تموز 1958 تنقسم الأوساط السياسية والأجتماعية بين فريقين أو عدة فرق وتفتح أبواب الحوار حول الحدث يصل في احيان كثيرة إلى ما لا يمت بصلة بثقافة الحوار إلى جانب حالات من السب والشتم وسوء الأخلاق وبالتالي تفوت الفرصة في الاستفادة من هذا الحدث لتوظيفه لمصلحة الحاضر، والكثير من هذه الخلافات يتمحور حول السؤال الآتي:

هل ثورة تموز انقلاب أم ثورة وهل هي من فتحت أبواب الجحيم على العراق ومستقبله؟.

قد ينطبق على حدث 14 تموز مفهوم "انقلاب في الآلية وثورة في النتائج" وقد يكون واحدة من أدق التوصيفات التاريخية لحدث 14 تموز 1958 في العراق، الذي أنهى العهد الملكي وأعلن قيام الجمهورية العراقية. هذا التعبير يفكك الحدث إلى شقين: كيف تم (الآلية)، وماذا حصل لاحقا (النتائج). ويمكن تحليل هذا الوصف بدقة:

أولاً: "انقلاب في الآلية"

وصف الحدث بالانقلاب من حيث الآلية يستند إلى حقائق التنفيذ العسكري:

تحرك عسكري سري: الحركة بدأت بقرار وخطوة من تنظيم داخل المؤسسة العسكرية ("الضباط الأحرار") بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم والعقيد عبد السلام عارف.

استغلال التحركات اللوجستية: تم تنفيذ الإطاحة بالنظام الملكي عبر استغلال أمر تحرك للواء العشرين العسكري المتجه نحو الأردن، حيث غير اللواء مساره ليدخل بغداد ويسيطر على المراكز الحيوية (الإذاعة، قصر الرحاب، ووزارة الدفاع).

غياب المشاركة الشعبية المسبقة في التخطيط: لم تبدأ الحركة كإنتفاضة شعبية مسلحة أو عصيان مدني شامل خططت له الجماهير في الشوارع، بل كانت مباغتة عسكرية أحكمت السيطرة على السلطة خلال ساعات قليلة.

ثانياً: "ثورة في النتائج"

على العكس من الانقلابات التقليدية التي تكتفي بتغيير الوجوه الحاكمة مع الإبقاء على بنية النظام كما هي، أحدث 14 تموز زلزالاً جذرياً في بنية الدولة والمجتمع العراقي، ولهذا استحق وصف "الثورة:" تغيير نظام الحكم وهيكل الدولة: أُلغيت الملكية تماماً وتحول العراق إلى النظام الجمهوري. وتغيرت الهوية السياسية للدولة وعلمها ونشيدها الوطني.

إنهاء النفوذ الأجنبي: خرج العراق من "حلف بغداد" (الذي كان يربطه ببريطانيا والغرب)، وتمت تصفية القواعد البريطانية في الحبانية والشعيبة، مما نقل العراق إلى معسكر "الحياد الإيجابي" وحركة عدم الانحياز.

الانقلاب الطبقي والاجتماعي (قانون الإصلاح الزراعي): ضربت الجمهورية الجديدة طبقة الإقطاعيين التقليديين الذين كانوا الركيزة الأساسية للعهد الملكي. تم توزيع الأراضي على الفلاحين، مما أعاد تشكيل البنية الاجتماعية للريف العراقي.

تشريعات تقدمية وجريئة: صُدر قانون الأحوال الشخصية رقم 188 لسنة 1959، الذي اعتبر قفزة نوعية في إنصاف المرأة وضمان حقوقها، وهو ما مثل ثورة قانونية واجتماعية في بيئة محافظِة.

السيادة الاقتصادية (القانون رقم 80): تم تحجيم احتكار شركات النفط الأجنبية واستعادة 99.5% من الأراضي غير المستثمرة بموجب القانون رقم 80 لسنة 1961، وتأسيس شركة النفط الوطنية، مما مهد الطريق لاحقاً للتأميم الكامل.

الدعم الشعبي العارم: بمجرد إذاعة البيان الأول من راديو بغداد، تحول التحرك العسكري فوراً إلى ثورة شعبية حيث نزلت الملايين إلى الشوارع لتأييد التغيير، مما منح الحدث شرعيته التاريخية الكبرى.

خلاصة القول أن 14 تموز بدأ بـ "أداة انقلابية" (تحرك الجيش)، لكنه أنتج "واقعاً ثورياً" غير وجه العراق سياسياً واقتصادياً واجتماعياً إلى الأبد .

ثورة 14 تموز 1958 في العراق، والتي أنهت العهد الملكي وأعلنت قيام الجمهورية العراقية بقيادة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، تعد من أهم المنعطفات السياسية في تاريخ العراق الحديث.

ورغم أنها حققت مكاسب اجتماعية واقتصادية كبيرة في بدايتها، إلا أن مسارها والنهاية المأساوية لرموزها قدّمت دروساً بليغة في السياسة وإدارة الحكم.

وهنا نشير الى أبرز الدروس المستخلصة من الثورة:

1.خطورة غياب التوافق السياسي وبناء المؤسسات

أحد أكبر أخطاء الثورة كان الاعتماد على شرعية "البيان الأول" والشرعية الثورية بدلاً من إسراع القادة في بناء مؤسسات دستورية ديمقراطية دات سيادة.

وهنا نؤكد أن غياب الدستور الدائم والمؤسسات المنتخبة يجعل النظام السياسي رهيناً لمزاج القيادة الفردية، ويسهل انهياره عند حدوث أي هزّة عسكرية أو اي محاولة انقلابية كما حصل.

2.الصراع الداخلي وتغليب الأيديولوجيا على المصلحة الوطنية سرعان ما انقسم قادة الثورة (الضباط الأحرار) والقوى السياسية الداعمة لهم (شيوعيين، قوميين، بعثيين) إلى معسكرات متصارعة؛ فدخلت البلاد في دوامة من التخوين والاقتتال الداخلي . وهنا نؤكد أن الصراعات الأيديولوجية الإقصائية داخل الصف الواحد تدمر مكاسب أي تغيير سياسي. وحدة الهدف في مرحلة "إسقاط النظام" لا تكفي إن لم يرافقها برنامج وطني جامع لمرحلة "بناء الدولة".

3.إشكالية دخول الجيش إلى المعترك السياسي

فتحت ثورة 1958 الباب واسعاً أمام سلسلة من الانقلابات العسكرية المتتالية في العراق (1963، 1968...). فتحول الجيش من حامٍ للحدود والدولة إلى لاعب سياسي رئيسي يتنافس قادته على السلطة. أن زجّ المؤسسة العسكرية في السياسة يضعف احترافيتها، ويجعل الحكم غير مستقر، حيث يصبح "صندوق الذخيرة" بديلًا عن "صندوق الاقتراع."

4.إهمال التوازنات الإقليمية والدولية

العراق يقع في منطقة شديدة الحساسية الجيوسياسية. تغيير نظام الحكم واختيار سياسات محورية معينة (مثل التقارب مع الاتحاد السوفيتي آنذاك أو التوتر مع المحيط العربي والمجاور) أثار ريبة القوى الإقليمية والدولية، مما شجع على التدخلات الخارجية لدعم خصوم النظام.

أن أي تغيير سياسي داخلي يجب أن يدرس بعناية ميزان القوى الإقليمي والدولي، فالسياسة الخارجية الحكيمة تحمي الجبهة الداخلية من التدخلات والتآمر.

5.حتمية الموازنة بين العدالة الاجتماعية والحريات السياسية

حققت الثورة إنجازات حقيقية للطبقات الفقيرة (مثل قانون الإصلاح الزراعي وبناء مدينة الثورة وتوفير السكن والتعليم). لكن هذه المكاسب الاقتصادية ترافقت مع التضييق على الحريات السياسية والصحافة وتصفية المعارضين.

أن المشاريع التنموية والعدالة الاجتماعية لا يمكن أن تكون بديلاً مستداماً عن الحرية وحقوق الإنسان؛ فالشعوب قد ترحب بالخبز أولاً، لكنها لاحقاً ستطالب بالحرية والمشاركة في القرار.

تؤكد تجربة ثورة 14 تموز أن إسقاط الأنظمة أسهل بكثير من بناء بدائل مستقرة وعادلة، وأن الشرعية الحقيقية لأي نظام حكم لا تأتي من القوة العسكرية، بل من قدرته على تحقيق السلم الأهلي، وبناء دولة المؤسسات والقانون، والتداول السلمي للسلطة.

وتجدر الإشارة إلى أن تقييم ثورة 14 تموز 1958 يختلف بين المؤرخين؛ فبعضهم يركز على إنجازاتها، مثل إنهاء النظام الملكي والإصلاح الزراعي وتوسيع الخدمات العامة، بينما يركز آخرون على ما أعقبها من صراعات سياسية وعنف وعدم استقرار. لذا فإن دراستها بصورة متوازنة، مع النظر إلى إيجابياتها وسلبياتها، تساعد على فهم تاريخ العراق وحاضره واستخلاص العبر للمستقبل، لكن الثابت أنها أسست ل "العراق الجمهوري " الحالي.

***

مرايا

الجهل المركب.. حين لا يرى الجاهل جهله!

أ.د. محمد الربيعي

في عالم مليء بالمعلومات، يظل الجهل حالة بشرية معقدة، لكن أخطر أنواعه ليس الجهل ذاته، بل الجهل بالجهل. هذا ما كشفه تأثير دانينغ-كروجر، الذي أظهر أن غير الأكفاء لا يفتقرون إلى المهارات فحسب، بل يفتقرون أيضاً إلى القدرة على إدراك افتقارهم لها. إنها مفارقة مؤلمة: المهارات اللازمة لتقييم الكفاءة هي نفسها المهارات المفقودة لدى غير الأكفاء.

قصة فلورنس فوستر جنكينز، المغنية التي ملأت قاعة كارنيجي بصوتها النشاز، ليست مجرد حكاية مسلية، بل مرآة تعكس واقعاً أعمق. كانت تؤمن بموهبتها إيماناً مطلقاً، رغم سخرية الجمهور ونقد النقاد. أما ماك آرثر ويلر، اللص الذي اعتقد أن عصير الليمون يجعله غير مرئي لكاميرات المراقبة، فقد جسد بأغرب طريقة ممكنة هذه الظاهرة: شخص واثق جداً من فكرته الخاطئة لدرجة أنه لم يخطر بباله حتى أن يسأل أحداً عن رأيه.

يتساءل الفيلسوف ويليام باوندستون: هل نبالغ في القلق بشأن زيادة الجهل؟ وهل يمكن أن يكون القلق نفسه مبالغاً فيه؟ لكن قصة جنكينز وويلر تريانا أن الجهل ليس مجرد غياب معرفة، بل هو حالة من الثقة الزائدة التي تجعل صاحبها محصناً ضد النقد والحقيقة. الجاهل لا يعرف أنه جاهل، وهذه هي الكارثة.

الأخطر أن هذا التأثير لا يقتصر على الأفراد العاديين. إنه يتسرب إلى أعلى مستويات السلطة والنفوذ. حين يفتقر "القائد" إلى البصيرة اللازمة لرؤية عيوبه، وحين تحيط به حلقة من الممكّنين والمتملقين الذين يصدّقونه أو يخافون من معارضته، فإنه يصبح نسخة طبق الأصل من فلورنس جنكينز، بل أسوأ. هي كانت تؤذي آذان الحاضرين فقط، أما القائد الجاهل فقراراته قد تدمر مجتمعات..

بعد هذه الاستعراضات لقصة فلورنس وويلر وتأثير دانينغ-كروجر، لا يسعني إلا أن أواجه نفسي وقارئي بسؤال تهكمي لكنه جوهري:

كم في مجتمعنا، وخاصة بين صفوف القادة السياسيين والطبقة الحاكمة، من تنطبق عليه صفات فلورنس جنكينز وماك ويلر؟

السؤال ليس تهكماً محضاً، بل دعوة لمراجعة جادة. ربما يكون الجواب مخيفاً: كثيرون. لكن الخطر الأكبر ليس في كثرتهم، بل في أنهم غالباً لا يدركون جهلهم، ومن حولهم إما يخافون أو يستفيدون من استمرار هذا الجهل. وإذا كان الفيلسوف باوندستون يتساءل عما إذا كنا نبالغ في القلق، فإن السؤال الحقيقي هو: ماذا نفعل حين يصبح الجهل الواثق من نفسه هو من يقود القرارات المصيرية لحياتنا؟

من سنغافورة إلى بغداد..
هل تنجح معادلة لي كوان يو في تفكيك شبكات الفساد؟

تظل معضلة الفساد العقبة الكبرى التي تقوض بناء الدول وتحول بينها وبين الاستقرار والتنمية، وفي تاريخ السياسة الحديثة يبرز اسم لي كوان يو، الاب المؤسس لسنغافورة الحديثة، كرمز تاريخي للانتصار الكامل على الفساد. وتأخذ مقولته الشهيرة التي يؤكد فيها انه اذا كنت تريد هزيمة الفساد فكن مستعدا لوضع اصدقائك واقاربك خلف القضبان بعدا واقعيا يتجاوز حدود بلاده ليصبح معيارا تقاس به جدية اي حراك اصلاحي في العالم، بما في ذلك المشهد السياسي العراقي الحالي الذي يشهد محاولات جادة لضرب شبكات النفوذ المالي والسياسي.

عندما تسلم لي كوان يو حكم سنغافورة في ستينيات القرن الماضي، كانت الجزيرة تغرق في مستنقع من الفقر والرشوة والمحسوبية، لكنه ادرك ان بناء اقتصاد قوي يتطلب اولا بيئة نزيهة جاذبة للاستثمار. ولم تكن فلسفته قائمة على سن القوانين فحسب بل على الصرامة المطلقة في تطبيقها دون تمييز، ولعل تصفية الدائرة المقربة منه سياسيا وشخصيا كانت الرسالة الاقوى للشعب وللفاسدين، فحينما طالت تحقيقات الكسب غير المشروع وزراء مقربين منه مثل وزير التنمية الوطنية تيج تشانغ وان، رفض رئيس الوزراء التدخل او حتى منحه مقابلة شخصية مفضلا ترك القانون ياخذ مجراه، مما ارسخ مبدا العدالة العمياء التي لا ترى صلة قرابة او تحالف سياسي.

←

على الجانب الاخر من المشهد، يعيش العراق منذ عقود صراعا مريرا مع منظومة فساد هيكلية توصف بانها عابرة للمؤسسات، وفي الاونة الاخيرة اتخذ رئيس الوزراء خطوات وصفت بالجريئة عبر اطلاق حملات لملاحقة والقاء القبض على عدد من كبار المسؤولين والمقاولين من حيتان الفساد. وان مقاربة هذه الاجراءات العراقية الحالية مع التجربة السنغافورية تضعنا امام اختبار حقيقي ومحوري يبدا اولا بكسر حصانة الخطوط الحمراء، فاعتقال شخصيات كانت تعتبر حتى وقت قريب فوق القانون بسبب نفوذها المالي او حمايتها السياسية يمثل البداية الفعلية لتطبيق معادلة لي كوان يو في البيئة العراقية.

لكن الصعوبة البالغة في العراق تكمن في طبيعة النظام السياسي القائم على المحاصصة والتوافقية، ففي سنغافورة كان القرار بيد سلطة مركزية حازمة، اما في العراق فان الاصدقاء والاقارب بمفهوم لي كوان يو لا يعنون صلة الدم الفردية فحسب بل يشملون الحلفاء السياسيين واعضاء الكتل الكبرى والشركاء في ادارة السلطة. وهنا يبرز التحدي الاكبر حول مدى استمرارية هذه الاجراءات الحكومية لتطال الحيتان من جميع الاطراف دون محاباة او انتقائية، فضلا عن الحاجة الماسة لمأسسة هذه المحاسبة وتجفيف منابع الفساد، لان لي كوان يو لم ينتصر بالاعتقالات الفردية المؤقتة فقط بل بتاسيس منظومة تشريعية وقضائية مستقلة وقوية تحمي الدولة على المدى الطويل.

تثبت تجربة سنغافورة في نهاية المطاف ان الفساد ليس قدرا محتوما على الشعوب بل هو مرض يمكن الشفاء منه اذا توفرت الارادة السياسية الشجاعة، والاجراءات الاخيرة في العراق بالقبض على بعض حيتان الفساد هي خطوة بالاتجاه الصحيح حظيت بترحاب شعبي واسع، لكنها تظل بحاجة الى التمسك التام بنصيحة الزعيم السنغافوري الراحل بان يوضع القانون فوق الولاءات وان تسقط الحصانات السياسية والحزبية امام مصلحة الدولة العليا، فمعركة مكافحة الفساد لا تكتمل بضرب الذيول بل بقطع رؤوس شبكات النفوذ مهما كانت درجة قربها من دوائر القرار.

---

* بروفسور متمرس ومستشار تربوي، جامعة دبلن

آراء

” صولة الفجر“ على الحرامية ـ ترحيب شعبي و هواجس مشروعة!

احسان جواد كاظم

عمّت مشاعر الفرح المواطنين العراقيين أخيراً بعد سماعهم ب " عملية الفجر " للقبض على الفاسدين واعتبروها بداية جديدة للاقتصاص منهم، تدعو للتفاؤل بحكومة السيد علي الزيدي.

أن تاريخ الدعوات الشعبية والوطنية في محاربة الفساد وإجهاض نهج المحاصصة الطائفية ـ العرقية ومنظومات الفساد، طويل، بدأ مباشرة مع تشكيل مجلس الحكم بعد إسقاط النظام البائد ، وبها كان يمكن معالجة معضلة أزمة الحكم وبنية النظام والمحاصصة ومنظومة الفساد والدولة العميقة، وتفادي ما آلت إليه الأمور، لا أن تقتصر اليوم على اعتقال شخوص الفاسدين.

الترحيب الشعبي بهذه العملية نابع من توق نحو العدل ولجم الفاسدين من التمادي الوقح في نهب ثروات ومقدرات العراقيين واكتنازها، ووجدوا في قرار الشروع بالقبض على رموز الفساد موقف جريء و ضروري لخير البلاد ورفعتها للبدء في توجه جديد لخدمة الشعب، بعد فقدان الأمل بإمكانية التعرض إلى هذه المنظومة الفاسدة، بعدما أصبح السلاح يحمي الفساد والفساد يغذي السلاح.

شرعية أي أحزاب ماسكة للحكم مرتبطة بقدرتها على تحسين مستوى المعيشة وتحقيق التنمية، وهو ما فشلت به الأحزاب الإسلامية المتمثلة بالإطار التنسيقي الشيعي وحلفاءه المتحاصصين وعمّدته بالنهب، فأصبحت مجموعةً خارج دائرة الثقة الشعبية.

كان أحد أسباب الارتياح والاطمئنان الشعبي الأساسية، رؤية منتسبي ودبابات جهاز مكافحة الارهاب الوطني الذي يحظى بثقة وتقدير العراقيين لمهنيته وكفاءته ودوره البطولي في كسر ظهر الإرهاب الداعشي ومحق دولته البربرية وتحرير مدن البلاد من ربقته، هو صاحب الصولة، ويحمل على عاتقه مهمة تخليص الشعب من زمر الفساد، ولكون كفاءته وولاءه الوطني يؤهلانه لذلك الفعل،

المطالب الشعبية تدعم هذا الإجراء، بحرارة، لكنها ليست مع الاكتفاء بهذا المستوى المحدد من الفاسدين، الذي لا يشفي اعتقالهم غليل المواطن، فحتى المحلل السياسي المقرب من الإطار أبو ميثاق المساري أطلق عليهم تسمية " حرامية دجاج " وسمّاهم آخرون " سمك زوري - سمك صغير ".

بينما المواطن يصرخ : أن " تحت الأزهار أفعى " !.

أما هاجس الخشية من النكوص فهو أمر متوارث، بعد سلسلة الخيبات من أداء رؤساء الحكومات السابقة وسياسيي الزمان الصعب الذين أغدقوا الوعود البراقة والعهود، لكنهم حنثوا بها، جملةً وتفصيلا، بينما أثرى حيتان الفساد بفحش على حساب معاناة العراقيين.

رغم الإشادة الشعبية بمبادرة السيد رئيس مجلس الوزراء علي الزيدي إلا أن التجارب السابقة جعلت منح الثقة التامة يكتنفها بعض الحيطة والحذر لأنه يبقى المرشح الاضطراري للاطار التنسيقي الشيعي راعي الفساد بعد الاملاءات الامريكية برفض مرشحهم نوري المالكي لرئاسة مجلس الوزراء، وهذا لا يدعو للاطمئنان، مكرر، لأنه مرشح الإطاريين والامريكان بنفس الوقت.

كما أن مفارقة تأييد أساطين الفساد وأحزابهم لعملية مكافحته من خلال برقيات التأييد لعملية فجر اصطياد الفاسدين التي أطلقها السيد علي الزيدي، قد تعني إنحناء مؤقت أمام العاصفة حتى مرورها والتضحية بالرؤوس الصغار لتنجو الرؤوس الكبار. وقد يكون هدفها إحباط المواطن المستبشر بالحملة من جهة وزرع الشكوك في جدية السيد الزيدي في المضي بشكل جدي باجراءاته، وترحيبهم الكاذب قد أيقظ هواجس كامنة من تجارب سابقة جعلت من ريب المواطن شكاً، خصوصاً وأنهم لا يستطيعون الجهر بالدفاع علناً عن فاسديهم لأن تهم الفساد راكبه عليهم.

وقد شهدنا في أوقات سابقة قفز على اللوائح والقوانين بوسائل ملتوية مثل إطلاق سراح مجرمين بكفالات أو إعلانات عفو عام عنهم أو تعيينهم كمستشارين أو سفراء أو دسهم في البرلمان لحمايتهم بالحصانة أو إحالتهم على التقاعد في أسوأ الأحوال، للإفلات من المحاسبة القانونية، أما ما تفتق عنه عقل الماسكين بالسلطة ابتكار وسيلة جديدة لافلاتهم، ما أطلق عليه " التسوية المالية " معهم، في حين لا يمكن للسلطة التنفيذية التنازل قانونياً عن " الحق العام "، بل يجب اعتبار عملية نهب المال العام والاستيلاء على أملاك الدولة وحقوق المواطن، عملياً وقانونياً، جريمة إرهابية !

قد يفسر المواطن موقفهم في تأييد الإجراءات الحكومية باعتقال فاسدين مقربين من أحزابهم، بأنها محاولة لتبرئة أنفسهم والنأي بها عن أية شبهة والادعاء بعدم علمهم بفساد مرؤوسيهم، والتنكر تماماً من هؤلاء الذين كانوا في خدمتهم بالأمس، مع أن أصغر بائع كلينكس على التقاطعات المرورية في شوارع المدن يعرف بسرقات الرؤوس الكبيرة قبل الصغيرة...والتي لا يمكن التنصل منها، بأي حالٍ من الأحوال، علناً ! كما أن قصورهم شواهد إثراء غير مشروع لا تقبل الدحض !

أو أن إعلانات التأييد لمكافحة الفساد المفاجئة هي من جانب آخر، نوع من التملق لرئيس مجلس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة علي الزيدي لكي لا يمضي أبعد من هذه الحدود ولا يتعرض لهم، وقد تكون هذه المداهنة، كذلك، مسعى مبيت لتشويه صورته أمام الشعب وإرسال رسالة كاذبة بوجود اتفاق سري بينه وبينهم بالاكتفاء بهذه المجموعة من فاسديهم ككباش فداء فقط.

ربما كان الشروع بهذه الصولة واعتقال برلمانيين صرفوا دماء قلوبهم في الحملات الانتخابية لشراء مقاعدهم في مجلس النواب قد وضع شرعيته وجميع من اشترى مقعده البرلماني في الانتخابات البرلمانية السابقة أو أي مركز حكومي أو وظيفة، بالضرورة ،تحت المجهر ، ومرشحة للاسترداد ! لابد من تحذير السيد الزيدي، أن أمر المضي في مساعيه التي أيدها الشعب، وعدم التراجع عنها قضية مهمة تتعلق ليس فقط بموقعه السياسي الحالي بل بكل سمعته الشخصية والعائلية. " To be or not to be " كما قال طيب الذكر شكسبير في مسرحيته " هاملت ".

الأزمة المالية التي تحيق بالبلاد، أعادت الرشد إلى الكثيرين من الذين تعودوا على أخبار ضياع أو تهريب مليارات الدنانير أو ملايين الدولارات على أنها خبراً عابراً، لا يثير الغضب، وكما تعودنا سماع تصريح وزير أو مسؤول حكومي رفيع عن اختفاء مليارات الدنانير أو ملايين الدولارات من خزينة الوزارات أو المؤسسات ولا يعرفون أين ذهبت !
وهو أمر لا يمكن أن تقبله دولة رصينة !

إضاءات

»الفساد لا يكشفه المواطن... بل تكشفه الدولة«

زكي رضا

مشاركة المواطنين في كشف مرتشين وليس فاسدين في دائرة معينة أمر ممكن، كونهم يتعاملون معهم بشكل مباشر. فالمواطن العادي قد يبلغ عن موظف يطالبه برشوة لأنجاز معاملته، او يلاحظ تجاوزا اداريا في دائرة معينة اثناء مراجعته لها فيشتكي ذلك الموظف، وعليه فأن طلب رئيس الوزراء من المواطنين الابلاغ عن الفاسدين مقابل مكافئات مالية، يحمل بين طياته الكثير من التساؤلات، وبعض هذه التساؤلات قد تتحول الى الشك في مصداقية رئيس الوزراء في مكافحته أخطر عدو لشعبنا ووطننا، أي الفساد. والسؤال الذي على رئيس الوزراء الأجابة عليه هو: هل يمتلك المواطن أصلا القدرة على كشف الفاسدين..؟ الجواب وبكل ثقة هو: صعب جدا.

الفساد ايها السيد رئيس الوزراء، لا يمارس في الشارع ولا في دوائر الدولة حيث المراجعين العاديين، بل تراه مختبئا في حسابات مصرفية داخل وخارج البلد، في سجلات العقارات، في العقود الحكومية، في المناقصات والمزايدات، في التحويلات المالية وغسيل الأموال، في الخيول العربية، في أرتال السيارات الفارهة غالية الثمن، في مئات الكيلوغرامات من المصوغات الذهبية، تراه في ترف عيش من لم يكن يمتلك شروى نقير قبل أن يتبوأ منصبا مهما في الدولة. وهذه المعلومات لا يستطيع المواطن العادي الوصول اليها، لكن الدولة بمؤسساتها الرقابية والقضائية قادرة وتستطيع الحصول عليها عبر تلك المؤسسات. أذا ولو كانت الدولة جادة في مكافحة الفساد لما احتاجات الى انتظار بلاغات المواطنين على أهمية بعضها، والذين قد يتعرضون للمضايقات ولا نقول غيرها، من قبل أذرع الفساد المسلحة.
الدولة عندها هيئة للنزاهة على ما أظن، وديوان رقابة مالية ولا أدري إن كانت تعمل أم لا، وسلطة قضائية بـــدأت تتحرك قـــليلا، وأجهزة رقابية، وأجهزة أمنية رأيناها فيما أطلقت عليها صولة الفجر أو صولة الخضراء أو أي أسم آخر. ويكفي أن تُشكل لجنة مستقلة من قضاة وخبراء ماليين نزيهين ومستقلّين تتولى مراجعة الذمم المالية لكل من تولى منصبا عاما، بدءا من رؤساء وزراء سابقين ووزراء ونواب برلمان ومدراء عامّين وسفراء ومسؤولين كبار الى رجال دين ساهموا في العمل السياسي وأثرو على حساب مصالح الشعب، دون تمييز على اساس الطائفة أو القومية أو الدين أو الجهة الحزبية. وعلى طريقة " الجوز معدود والجراب مسدود"، يجب طرح السؤال التالي عليهم جميعا دون أستثناء: ما هو دخلك منذ أن توليت منصبك ولحين مغادرته؟ فإن كان راتب المسؤول معروفا وهو معروف طبعا، وإن كانت مدة خدمته معروفة وهي معروفة ايضا، واكتشفت لجان التحقيق قصور وشركات وارصدة واموال مدفونة في الجدران وتحت الأرض وغيرها داخل وخارج البلد، فهذه تحتاج الى اجهزة رقابية تمتلكها الدولة لكشفها، لا المواطن العاطل عن العمل، او الكاسب الفقير، أو تلك الأرملة الحالمة براتب الرعاية الأجتماعية، ليبلغ عنها مقابل مكافئة مالية، وكيف يستطيع اثباتها!؟

لقد شهدت الأيام الماضية كشف قضايا فساد أنتظرها شعبنا لأكثر من عقدين، تمّ من خلالها استرداد لأموال وممتلكات هي قطرة في بحر، كما تم اعتقال عدد من النواب و المسؤولين بالجرم المشهود. وهذا يؤكد أن الدولة قادرة على الوصول إلى الأدلة عندما تتوافر الإرادة السياسية. كما أن الرأي العام يتساءل باستمرار عن مصادر الثروات الضخمة التي ظهرت على بعض المسؤولين والشخصيات النافذة وأقاربهم بعد الأحتلال. وعلى الحكومة وهي تحقق في فساد هؤلاء اللصوص للمال العام، أن تعلن نتائج التحقيق على الرأي العام العراقي، لتكون صادقة وجادة في محاربتها للفساد كما تقول.

الدولة التي تستطيع أن تلاحق مواطن بسبب مخالفة مرورية، أو متجاوزا على أراضيها في العشوائيات، قادرة أيضا على معرفة كيف تحول مسؤول أو أحد افراد عائلته أو من أقاربه وهو يمتلك راتب محدود الى صاحب امبراطورية مالية. أن مكافحة الفساد لا تبدأ من المخبرين، بل بشعور كل مسؤول بالدولة من أن مصادر ثروته سوف تراجع مـن قبل هيئات مالية تابعة

للدولة. مكافحة الفساد تبدأ عندما يعرف المسؤول أن منصبه لا يمنحه الحصانة من المحاسبة والملاحقة القضائية، مكافحة الفساد تبدأ عندما يطبق القانون على الوزير والغفير، ووقتها تتحول مكافحة الفساد التي ينتظرها شعبنا من شعار سياسي الى مشروع دولة جادة في تحقيق حياة افضل لشعبها. والكرة التي تريد رميها في ملعب الجماهير أيها السيد رئيس الوزراء الآن، تعود الى ملعبك انت من جديد.

السيد رئيس الوزراء: هل تعرف أن البرلمان العراقي هو واحد من اغلى برلمانات المنطقة والعالم؟ وأن معدل ما تم صرفه في الانتخابات الاخيرة لأختيار 329 نائبا وصل وفق بعض الأحصائيات الى نحو 3- 4 ترليون دينار تقريبا؟ لنقل أن المبلغ هو نصف ترليون دينار فقط، والذي يعادل مليون ومئة وخمسين الف دولار للنائب الواحد تقريبا. و لنضع أيها السيد رئيس الوزراءالكرة في ملعبك من جديد، لتحسب راتب البرلماني لأربع سنوات، ولماذا يترشح للبرلمان اذا كانت مجموع رواتبه لا تصل الى ربع ما صرفه..؟ أنه الفساد والأثراء غير المشروع وليس غيره، أن المحاصصة التي جاءت بكم الى السلطة هي أس الفساد، والذي لن ينتهي الا بانهياره.

" إن ظنّت بك الرعية حيفا فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم بإصحارك" الأمام علي بن ابي طالب.

** تُشير التطورات السياسية في العراق إلى أن حملة مكافحة الفساد التي يقودها رئيس الوزراء علي فالح الزيدي، والمعروفة باسم "صولة الفجر"، قد أحدثت هزة فعلية داخل الأوساط السياسية وأحزاب السلطة..

آراء حرة

»حين يصبح تطبيق القانون خطرا على العملية السياسية«

د.سهام يوسف

"هناك عبارة تتردد كلما اقتربت يد العدالة من ملفات الفساد الكبرى: احذروا، إن الاستمرار بهذا المسار سيؤدي إلى انهيار العملية السياسية."

قد تبدو هذه العبارة، للوهلة الأولى، دعوة إلى الحفاظ على الاستقرار، لكنها في حقيقتها تحمل اعترافا بالغ الخطورة. فهي لا تقول إن المتهمين أبرياء، ولا تنفي وجود الفساد، ولا تطعن في الأدلة، بل تنقل النقاش من سؤال: هل وقعت الجريمة؟ إلى سؤال آخر: هل تتحمل العملية السياسية كشف الجريمة؟ وهنا تكمن المأساة، فالدولة التي تخشى من تطبيق القانون على الفاسدين ليست دولة مأزومة بسبب الفساد فحسب، بل هي دولة أصبح الفساد جزءا من بنيتها، وعنصرا من عناصر توازنها السياسي. عند هذه المرحلة، لا يعود الفاسد مجرد شخص استغل منصبه أو سرق المال العام، بل يصبح حلقة في شبكة معقدة من التمويل السياسي، والتحالفات، والمحاصصة، وتقاسم النفوذ. ولذلك، فإن سقوط فرد واحد لا ينظر إليه بوصفه انتصارا للعدالة، وإنما بوصفه تهديدا لبقية الحلقات المرتبطة به.

من هنا يمكن فهم سر العبارات التي بدأت تظهر على لسان بعض السياسيين، حين يتحدثون عن أن حملة مكافحة الفساد قد "تنسف العملية السياسية"، أو أن هناك خطوطا حمراء لا ينبغي تجاوزها، أو أن الوصول إلى بعض الملفات قد يفتح أبوابا لا يمكن إغلاقها.

لكن السؤال الذي يجب أن يطرح ليس: لماذا يخشون على العملية السياسية؟ بل: أي عملية سياسية هذه التي لا تستطيع الوقوف على قدميها إذا طبق القانون؟

قبل سنوات، قال أحد قادة العملية السياسية عبارته الشهيرة، لدي ملفات لو كشفتها لانهارت العملية السياسية. يومها اعتقد كثيرون أنها مجرد رسالة ضغط في خضم صراع سياسي. لكن مع مرور الزمن، ومع تكرار الحديث عن أن فتح بعض ملفات الفساد قد يطيح بالنظام السياسي أو يربك توازناته، تبدو تلك العبارة وكأنها لم تكن تهديدا، بل وصفا لطبيعة المنظومة نفسها.

فإذا كان كشف الحقيقة يؤدي إلى انهيار النظام، فإن المشكلة ليست في الحقيقة، وإنما في النظام الذي بني على إخفائها.

إن أخطر أنواع الفساد ليس ذلك الذي يسرق المال العام، بل ذلك الذي ينتج السلطة نفسها. حين تتحول الأموال المشبوهة إلى وسيلة لتمويل الحملات الانتخابية، وحين تصبح الرشاوى طريقا للوصول إلى البرلمان، وحين تصنع التحالفات على أساس تبادل المصالح لا على أساس البرامج، فإن الفساد لا يعود سلوكا منحرفا داخل الدولة، بل يصبح هو الآلية التي تدار بها الدولة.

عندئذ، تصبح ملاحقة الفاسدين أشبه بمحاولة سحب حجر الأساس من بناء كامل، لأن كل حجر يقود إلى حجر آخر، وكل اسم يقود إلى اسم أكبر، حتى تصل الخيوط إلى مراكز القرار نفسها. ولهذا لا يكون الخوف من انهيار العملية السياسية بسبب مكافحة الفساد، بل بسبب انكشاف الطريقة التي تشكلت بها هذه العملية منذ البداية.

لكن، هل هذا هو منطق الدول التي نجحت؟ التاريخ يجيب بالنفي.

حين قررت سنغافورة أن تجعل من مكافحة الفساد مشروعا وطنيا، لم يقل أحد إن الدولة ستنهار إذا حوسب الوزراء وكبار المسؤولين، بل كان الاعتقاد السائد أن الدولة لن تقوم إلا إذا خضع الجميع للقانون.

وحين أنشأت هونغ كونغ هيئتها المستقلة لمكافحة الفساد، لم ترسم خطوط حمراء أمام التحقيقات، ولم تمنح الحصانة للنافذين بحجة حماية النظام السياسي. وفي كوريا الجنوبية، لم يمنع موقع الرئاسة أو النفوذ السياسي من محاكمة رؤساء سابقين وكبار المسؤولين، لأن بقاء الدولة كان أهم من بقاء الأشخاص، وبقاء

القانون أهم من بقاء النخب. لم نقرأ في أي تجربة ناجحة أن العدالة كانت خطرا على النظام، بل كان الفساد هو الخطر الحقيقي عليه.

أما في الأنظمة الهشة، فإن المعادلة تنقلب رأسا على عقب. يصبح الفساد ضرورة للاستقرار، ويصبح السكوت عنه حكمة سياسية، وتتحول العدالة إلى مغامرة ينبغي الحذر منها. وهنا لا يعود المطلوب حماية الدولة، وإنما حماية التوازنات التي صنعتها شبكات المصالح.

إن أخطر ما يمكن أن تصل إليه أي سلطة هو أن تقتنع بأن بقاءها أهم من بقاء القانون، وأن انهيار منظومتها أخطر من انهيار ثقة الناس بالدولة. عندها تصبح العدالة انتقائية، والمحاسبة موسمية، والفساد قابلا للتسوية إذا كان أصحابه من أصحاب النفوذ.

ولهذا، فإن تخويف الناس بانهيار العملية السياسية لم يعد يقنع أحدا. لأن السؤال الذي يفرض نفسه اليوم هو، ماذا بقي من هذه العملية إذا كانت لا تستطيع أن تعيش إلا بحماية الفاسدين؟

وإذا كان تطبيق القانون على الجميع، بلا استثناء، سيؤدي فعلا إلى سقوط منظومة سياسية كاملة، فإن ذلك ليس دليلا على خطأ القانون، بل دليل على أن هذه المنظومة قامت على أساس معيب.

إن الدولة لا تقاس بقدرتها على حماية الطبقة الحاكمة، وإنما بقدرتها على إخضاعها للقانون، لذلك، فإن العبارة التي يراد منها إخافة الناس يجب أن تقلب على أصحابها، إذا كانت مكافحة الفساد ستؤدي إلى انهيار العملية السياسية، فلتنهار.

فما ينهار بسبب العدالة لا يستحق البقاء، وما لا يصمد أمام سيادة القانون لم يكن مشروع دولة أصلا، بل كان مشروع سلطة.

آراء حرة

»إسرائيل شاحاك: حين تتحول المعاناة إلى معنى«

د. عبد الحسين شعبان

اقتبست عنوان هذه المقالة من عبارة الزعيم الجنوب أفريقي نيلسون مانديلا بخصوص العنصرية التي عانى منها بلده ما يزيد عن قرنين من الزمن، وذلك بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على التمييز العنصري، ففي 21 آذار / مارس 1960، ارتكبت السلطات العنصرية الحاكمة مذبحة شاربيل (جنوب أفريقيا) التي راح ضحيّتها 69 شخصًا.

وكانت الأمم المتحدة قد أقرّت الاحتفال باليوم العالمي للقضاء على التمييز العنصري في العام 1979، وفي العام 1965 أقرّت الجمعية العامة في الدورة العشرين الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري.

ولكن هل انتهت العنصرية؟ وماذا تسمّى القوانين والإجراءات والتدابير التي تقوم بها إسرائيل في فلسطين المحتلة؟ ناهيك عن حرب الإبادة على غزّة وعمليات الإجلاء والاستيطان في الضفة والحرب على لبنان واحتلال أراضٍ سورية جديدة؟!

منذ سنوات وأنا أستعيد ما كتبه البروفيسور إسرائيل شاحاك (المولود في بولونيا في العام 1933 والمتوفي في القدس في العام 2001) بخصوص العنصرية الصهيونية، علمًا بأنه أحد الناجين الذين استطاعوا الهرب من معسكرات الاعتقال النازية، ووصل إلى فلسطين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وخدم في الجيش، ولذلك لا يستطيع أن يزاود عليه أحد، فقد عانى ما عانى من الهولوكوست الذي تعرّض له اليهود في الحرب العالمية الثانية، كما لا يستطيع أحد أن يتهّمه بمعاداة السامية.

ولأنه يمتلك ضميرًا يقظًا وإنسانية طافحة وخَبِرَ ما تنطوي عليه الصهيونية وممارسات إسرائيل العنصرية من تجاوز لأبسط الحقوق الإنسانية، فإنه قرّر الانخراط في النضال المشّرف ضدّ العنصرية، وقد قادته رحلة البحث والاستقصاء في طبيعة الدولة الإسرائيلية كما يقول المفكّر الفلسطيني إدوارد سعيد بحق زميله المفكّر اليهودي إلى كشف ذلك وفضح زيف "الدولة الديمقراطية الرائعة" و"المعجزة التي تستحقّ الدعم والحماية غير المشروطة".

يقول شاحاك أن إسرائيل دولة فريدة من نوعها في العالم من حيث الأعذار التي تُساق لصالحها، فضلًا عن ستار الدخان الأيديولوجي وسيل الدعاية وتشويه الحقائق وتحويرها، وعلى عكس الكثير ممن يبرّر أعمالها، فإنه لا يسمح لفظائع المحرقة النازية تسويغ ما فعلته إسرائيل بالفلسطينيين باسم "الشعب اليهودي"، فالمعاناة واحدة، وهي ليست حصرًا على مجموعة واحدة من الضحايا.

لقد حذّر شاحاك اليهود بالقول: إن التاريخ المروّع لمعاداة السامية الذي عانوا منه لا يخوّلهم الحق في أن يفعلوا ما يرغبون فعله لمجرّد أنهم ذاقوا المرارة، ولهذه الأسباب شنّت القوى الصهيونية المتنفذة حملة شعواء ضدّه، لأنه حاول تقويض الأساس الأخلاقي لقوانين إسرائيل وممارساتها العنصرية.

يقول إدوارد سعيد في تقييمه لدور شاحاك (مقدمة كتاب إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود – وطأة 3000 عام، ترجمة رضى سلمان، شركة المطبوعات، بيروت، ط4، 1997) "ما كنت أستطيع أن أفعل ما فعلته من دون أوراق شاحاك، وبالطبع من دون قدوته كباحث عن الحقيقة والمعرفة والعدالة... فأنا مَدين له بدين هائل من العرفان بالجميل..."، ويستطرد في ذكر سجاياه بالقول "إنه من أكثر الأشخاص الذين عرفتهم في حياتي تبحرًا بالعلم ومعرفة الموسيقى والأدب وعلم الاجتماع وفي التاريخ... ولكنه يتفوّق على الكثيرين غيره كعالم في اليهودية".

ولعلّ مثل هذه الأطروحات التي يدعو لها شاحاك لا تخصّ نقض انحياز الغرب الأعمى لعنصرية الممارسات الإسرائيلية، بل أنه يضع وهم بعض العرب إزاء السلام المزعوم مع إسرائيل في الميزان، ويكشف على نحو فاضح مشاريعها المستترة والمخفية بالتمدّد "من النيل إلى الفرات"، وهو ما عبّر عنه سفير الولايات المتحدة في إسرائيل مايك هاكابي في دعمه لها في تصريحاته التي لا تمتلك الحد الأدنى من اللياقة والكياسة، فضلًا عن القوانين والأعراف الديبلوماسية.

إن مناسبة اليوم العالمي للقضاء على التمييز العنصري مهمة جدًا ليس للإقرار النظري بخطورة العنصرية وانتماء أفكارها إلى الماضي، وأنها رجعية واستعلائية ولا إنسانية بالمطلق، فضلًا عن تعارضها مع قيم حقوق الإنسان (كما جاء في مؤتمر ديربن 2001، الذي تشرّفت بحضوره)، بل لربط النظرية بالممارسة، والعمل على تطبيق ما جاء في قرار الأمم المتحدة بالواقع الذي عاشته غزّة وبقية الأراضي الفلسطينية خلال حرب الإبادة، التي هي جريمة مكتملة الأركان المادية والمعنوية.

لم تعد مقاربة جريمة العنصرية من زاوية الصراعات الدولية بصورة تجريدية، فذلك هو منطق الخطاب الفكري الصهيوني المدعوم من جانب القوى الإمبريالية، لأن الشرعية السياسية والأخلاقية والإنسانية والمشروعية القانونية الدولية تقتضي اتّخاذ الإجراءات الكفيلة بوضع حدّ للعنصرية في كلّ مكان وبالخصوص في فلسطين، والاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره، وذلك هو جوهر الصراع.

---

* أكاديمي ومفكّر

مراجعات

» ثورة 14 تموز 1958 المفترى عليها «

د. محمد الموسوي

تمر هذه الأيام ذكرى عزيزة على قلوب العراقيين الشرفاء وهي الذكرى الثامنة والستون لثورة 14 تموز 1958 وبالرغم من مرور اكثر من نصف قرن تبقى تلك الذكرى حية ولم تنجح الحملات المسعور من القوى المعادية الامبريالية والرجعية من مسح اثار ما حققتها تلك الثورة المجيدة ولذلك نجد بين فترة وأخرى تجديد تلك الحملات المسعورة واخر ما قامت به تلك القوى هو الغاء العطلة الرسمية لذلك اليوم المجيد والذي هو يوم تأسيس النظام الجمهوري المستقل عن الهيمنة الاستعمارية البريطانية التي جثمت على قلوب العراقيين منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة حيث حكم العراق بنظام الحديد والنار في ظل الاقطاع وقمع الحريات وفتح وغلق برلمان "الموافج" والاحكام العرفية في الكثير من الأحيان إضافة الى قمع الانتفاضات الشعبية وهناك من يحاول إضفاء صورة وردية على ذلك النظام رغم معاناة الغالبية المطلقة آنذاك وهم الفلاحين الفقراء المعدمين من ظلم وبطش الاقطاع والامية وفقدان الخدمات والمدارس الطينية كما لا ينبغي نسيان الاف السجناء السياسيين القابعين في السجون من المناضلين الشجعان وتعرضهم لمجازر وهم داخل المعتقلات كنقرة السلمان وسجن الكوت.

ان محاولات تبييض صفحة النظام الملكي الذي تميز بقمع الحريات وزج المعارضين في السجون وارتكاب المجازر بحقهم وقمع المظاهرات الاحتجاجية بالرصاص وملاحقة واعتقال المشاركين فيه ، انما يأتي بهدف الإساءة لثورة الرابع عشر من تموز 58 وطمس ذكراها وهي محاولات ينبغي التصدي لها من قبل الوطنين العراقيين بالرغم من ان ثورة تموز هي خالدة بإنجازاتها الكبيرة رغم قصر فترة حكمها التي استمرت لفترة اربع سنوات وسبعة اشهر فقط ليتم اغتيالها في الانقلاب الفاشي في 8 شباط 1963 هذا الانقلاب الذي دبر بدعم المخابرات الامريكية ونفذ من قبل شرذمة رجعية متخلفة ومتعطشة لدماء العراقيين وان جرائم ذلك النظام موثقة ومكشوفة وشهد عليها حتى العديد من المجرمين المساهمين فيها وهو الانقلاب الذي مهد لمجيء سلطة البعث الفاشي وصدام المجرم اللاحقة التي أوصلت العراق لما هو عليه اليوم من مآسي وويلات بعد تدميره بحروب عبثية واحتلال امريكي نصب لنا حكم المحاصصة والفساد والفشل.

ان الذي غير طبيعة انقلاب 14 تموز التي قام بها الضباط الاحرار بقيادة عبد الكريم قاسم وتحويلها الى ثورة هو الدعم الجماهيري الواسع من كافة الطبقات الاجتماعية كما ان الثورة كانت حتمية تاريخية بسبب أزمات الحكم الملكي وعزلته التامة عن الشعب وفشله في تحقيق اماله وتطلعاته في التطور وان ما نلاحظه اليوم من محاولات مشبوهة متواصلة في تشويه صورة تلك الثورة هو كونها صورة معاكسة تماما للحكم الطائفي المحاصصاتي الفاسد ففي الوقت الذي تمكنت الثورة خلال وقت قصيرة من تحقيق إنجازات كبيرة في مقدمتها استرجاع ثروات العراق من شركات النفط الأجنبية وتأميم النط بصدور قانون رقم 80 واعتماد مبدأ الكفاءة

وعدم التمييز بين أبناء الشعب على أسس عرقية او طائفية وتوزيع الأراضي مجانا على العوائل وبناء المساكن البسيطة للفئات الفقيرة وكذلك الخروج من حلف بغداد والاعتراف بحقوق الشعب الكردي وإصدار قانون الأحوال الشخصية الذي نجح الحكم الحالي استبداله بالقانون الجديد المهلل الذي يحرم المرأة والطفل من حقوقهم ويعتدي على ابسط الحقوق المنصوص عليها في لوائح حقوق الانسان وأصدرت الثورة قانون الإصلاح الزراعي الذي وضع حدا للإقطاع لذلك فان إبقاء تلك الذكرى طرية من شأنه ان يعري نظامهم الفاشل على كافة المستويات وتميزت ثورة 14 تموز بأجواء من الحرية والديمقراطية وانتعشت الحركة الأدبية والثقافية وكان لدى الثورة برامج طموحة تهدف الى وضع العراق

على طريق التقدم والنمو والازدهار فأقدمت على حملات شعبية ناجحة في مكافحة الامية وتوفير التعليم المجاني وتوفير الرعاية الصحية المجانية وتوسيع التعليم العالي وسعت لتوفير الكوادر العلمية عبر ارسال المئات من البعثات للدول المتقدمة للدراسة في مجالات الهندسة والطب والعلوم.

لاشك كانت هناك أخطاء ونواقص في مسيرة الثورة القصيرة ومنها عملية القتل الشنيع الذي تعرضت لها العائلة المالكة واثبت الوقائع ان ذلك لم يكن ضمن مخطط الانقلاب بل وقع بسبب تهور فردي من ضابط لم يكن من الضباط الاحرار من معسكر الوشاش القريب من قصر الرحاب ومن المؤسف استغلال هذا الخطأ لتشويه صورة الثورة من قبل اعدائها وتصويرها وكأنها ثورة دموية وكانت هناك نواقص ولبيات منها طابع الحكم الفردي الذي تكرس بعد حوالي سنتين وكذلك تجاهل الاخطار المحدقة بالثورة والاستخفاف فيها مما سهل ومهد الطريق للتآمر ضدها كما ان نظافة يد رجالات الثورة وقائدها وابتعادهم عن الفساد والمنفعة الشخصية هي من السمات البارزة الذي لازال الجيل المعاصر لها يتحدث عنه كمأثرة هامة من مآثرها عكس ما نراه اليوم من الفساد والمحسوبية الذي يميز ازلام حكم الصدفة فهل من الغريب اذن ان تحاول الطغمة الحاكمة اليوم وكذلك انصار الحكم الملكي البائد من طمس ذكرى ثورة 14 تموز.

آراء حرة

رشاوى من نوع مختلف

د. حسين علي بابان

أذكر أنني في صغري سمعت صديقًا لي في المدرسة يُحدثني ويُحدث مجموعةً من رفاقه بأنه اكتشف أخيرًا ما الذي يريده حارس المدرسة، حتى يتمكن هو وغيره من الهرب من المدرسة في الوقت الذي يناسبهم، وكان هذا الحارس فقير الحال وفي رقبته عائلة كبيرة من سبعة أفراد ، وكانت الرشوة عبارة عن علبة سجائر لأنه مدخن شره لا تفارق يده السيجارة أو وجبة طعام دسمة يأخذها معه إلى بيته حتى يسد جوع أفراد عائلته، وبالفعل كان صديقي يهرب من المدرسة كل أسبوع، ورشوته جاهزة بين يديه.

كانت هذه أول مرة أتعرف فيها إلى الرشوة، وفي بداية التسعينيات بدأت أكتب في وسائل الإعلام وأقرأ مختلف الأخبار عن الرشاوى التي تُقدَّم هنا وهناك، ففي السابق كانت الرشوة عبارة عن مبلغ مالي يُقدَّم للموظف الحكومي خصوصًا حتى يُنهي أوراقك ويختلف المبلغ بين بسيط وضخم بحسب المنصب الحكومي وما الذي تريده، أما الآن فقد تطورت الرشوة لتأخذ أبعادًا مختلفة وبعضها طريف للغاية ويدعو إلى الضحك.

تم الكشف عن مسؤول لا يقبل الرشوى المالية بتاتًا، لكن الموظفين الذين يحيطون به ويريدون كسب المال عن طريقه اكتشفوا أنه عاشق لليالي الحمراء و للمحرمات بمختلف أنواعها ونادرًا ما يستيقظ مبكرًا خصوصًا بعد أن حصل على منصبه، ولهذا اضطر الموظفون إلى السير في الطريق المقزز نفسه وتلبية احتياجاته مهما كانت للحصول على توقيعه الكريم.

أما مسؤول آخر فهو يقبل الرشاوى بأسلوب مختلف عن الذي ذُكر أولًا حيث إن رشوته عبارة عن رحلات هنا وهناك، ليس له وحده بل مع جميع أفراد عائلته وأقاربه ومع مرور كل شهر يذهب إلى رحلة مختلفة، فقد ذهب إلى أداء مناسك العمرة في الديار المقدسة كثيرًا بـ«المال الحرام» وبعدها يذهب إلى تركيا للترفيه وماليزيا في فصل الشتاء هربًا من البرد، ومن يدفع الرشوة هو المتكفل بالرحلة للجميع من البداية حتى النهاية.

حتى في مجالنا الإعلامي، أذكر قصة ممتعة رواها لي صحفي من «الطراز الثقيل» في العراق، ففي السنوات الأولى من الحصار الخانق الذي كان مفروضًا على جميع العراقيين، كان يعمل في مجلة حكومية شهيرة في وقتها، وكان رئيس التحرير يفرض دعاية لمطعم شهير في الصفحة الأخيرة من كل عدد، واضطر صديقي إلى العمل كصحفي استقصائي لأن الشكوك والظنون كانت تسيطر عليه، فإذا به يكتشف أن رئيس التحرير «المبجل» كان يذهب كل أسبوع إلى المطعم مع أسرته ويتناولون وجبة لذيذة من المشاوي، وكان الأجر هو الدعاية المجانية التي ينشرها عن مطعمهم في الصفحة الأخيرة بالمجلة بثمن بخس للغاية!!...

تحقيق الاكتفاء الذاتي

تتسابق حكومات الدول و خبراؤها في مختلف المجالات لتحقيق الاكتفاء الذاتي بأسرع وقت ممكن في المواد والحاجيات الأساسية اللازمة لحياة المواطنين. ويمكن تعريف الاكتفاء الذاتي باختصار بأنه قدرة الدولة على توفير مادة أو مورد أساسي بكميات كافية تغنيها عن الاستيراد وقت الحاجة، مما يخفف الأعباء المالية ويجنبها تقلبات الأسعار العالمية أو صعوبة الحصول على تلك المواد بسبب زيادة الطلب عليها في الأسواق الدولية.

ورغم تعدد جوانب هذا الموضوع وتشعبه، فإنني سأركز على نقطتين أساسيتين تمثلان ركيزة مهمة في حياة الإنسان والمجتمع وهما المياه والطاقة.

إذا تأملنا خريطة الشرق الأوسط بدقة، سنجد مع شديد الأسف أن معظم دول المنطقة لم تحقق الاكتفاء الذاتي في كثير من الموارد الأساسية، وعلى رأسها المياه فقد أعلنت دول عديدة حول العالم أنها تعاني من أزمة شح مائي خطيرة تهدد حياة الملايين، لكن السؤال

المطروح، أين نحن من هذه التحذيرات..؟؟

فبشكل يومي نسمع عن شوارع غرقت بمياه الصرف الصحي أو بمياه الأمطار نتيجة ضعف البنية التحتية وسوء التخطيط، كما نقرأ باستمرار عن مشاريع سدود ومحطات تحلية مياه يجري الحديث عن إنشائها، إلا أن الكثير منها يبقى مجرد وعود لا تظهر نتائجها على أرض الواقع، إضافة إلى ذلك فإن شبكات المياه في بعض الدول قديمة ومتهالكة، مما يؤدي إلى هدر كميات كبيرة من المياه الصالحة للاستخدام، وهذا يعني أن الثروة المائية التي تقوم عليها حياة الإنسان وكل الكائنات الحية أصبحت مهددة بشكل حقيقي في منطقتنا.

تُعد مشكلة الوقود والطاقة من أبرز الأزمات التي تواجه العديد من الدول ، رغم وجود دول منتجة للنفط والغاز الطبيعي ومع ذلك، نلاحظ وجود نقص في بعض المشتقات النفطية إضافة إلى الانقطاعات المتكررة في التيار الكهربائي في دول مثل العراق ومصر واليمن والسودان وسوريا ولبنان، وذلك بسبب غياب التخطيط السليم وضعف الإدارة وافتقار المشاريع التنموية إلى المتابعة الجادة.

إن عدم وجود خطط استراتيجية واضحة يجعل من الصعب على هذه الدول الوصول إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي في مجال الطاقة، رغم ما تمتلكه من ثروات وإمكانات كبيرة يمكن أن تجعلها في مقدمة الدول اقتصاديًا وتنمويًا.

وفي الختام يشهد العالم اليوم أزمة اقتصادية خانقة، ولا تبدو مؤشرات التحسن واضحة في الوقت الحاضر، لذلك فإن تحقيق الاكتفاء الذاتي في الحاجيات الأساسية يمثل عنصرًا مهمًا في تعزيز الأمن والاستقرار، ويمنح الشعوب شعورًا بالطمأنينة والثقة بمستقبلها الاقتصادي والاجتماعي، كما يساعد الدول على مواجهة الأزمات العالمية والتحديات المفاجئة بثبات وقوة ، ومن لا يصدق ما كتبته فليتابع أزمة مضيق هرمز بأدق تفاصيلها كيف أثرت على العالم بأسره.

آراء حرة

» ضعف مساهمة القطاع الصناعي في تطوير الاقتصاد الوطني العراقي: الأسباب والتحديات وآفاق المعالجة«

أ.د. سناء عبد القادر مصطفى *

ومن ثم وقعت الطامة الكبرى على رأس الاقتصاد الوطني العراقي بعد الانخفاض الكبير في سعر البرميل الواحد من النفط الخام في النصف الثاني من العام 2014 وبعد الإنهيارا في أسعار النفط بحوالي 54% من قيمتها منذ 20 حزيران العام 2014 حتى أواسط كانون الثاني العام 2015. إذ هبط سعر خام برنت الأوروبي القياسي من 115 دولارا. أمريكيا إلى 62 دولارا أمريكا للبرميل الواحد. ناهيك عن استفحال الفساد الاداري والمالي في الوزارات العراقية كافة وفقدان موازنة العام 2014 للصناعات كافة والتي لم يتجرأ أحد من أصحاب المسئولية في الحكومة العراقية (الرشيدة) عن الحديث عنها لحد الان. إذ بلغ الأمر من الخطورة بمكان طرح السؤال التالي: هل تم تخصيص رواتب وأجور للموظفين والعمال في جميع فروع القطاع الصناعي العراقي في موازنة العام 2014؟ وهل نفذت مطاليب العمال والموظفين بدفع أجورهم ورواتبهم المتأخرة لعدة أشهر؟

نستنتج مما ورد أعلاه وانطلاقا من أبسط معادلات اقتصاد الأعمال بأن القطاع الصناعي العراقي يعاني من زيادة التكالف الكلية على العوائد الكلية أي مرحلة اللاوفورات في الحجم. وحدث هذا بعد ان بدأ العراق يخسر كوادره الماهرة بسبب الحروب الداخلية والخارجية والهجرة الى الخارج التي بلغت بحدود الأربع ملايين أنسان بسبب الفساد والبيروقراطية الإدارية ومضايقة الكفاءات العلمية واغتيال أساتذة الجامعات من مختلف الإختصاصات العلمية والعلماء والمهنسين والأطباء اللذين بلغ عددهم أكثر من الخمسة ألاف شخص وكذلك هجرة رؤوس الاموال في القطاع الخاص الى مصارف وبنوك دول الجوار مثل الأردن وإيران والإمارات العربية المتحدة وقطر والكويت ولبنان وتركيا ناهيك عن الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا الـــتي استقبلتها بذراع مفتوح لتساهم في انعاش اقتصادها الوطني ضاربة عرض الحائط جميع القوانين الدولية الخاصة بغسيل الأموال.

هذا ملخص لأزمة القطاع الصناعي التنموية في العراق والجواب على الفرضية الأساسية للورقة البحثية: ضعف وتدهور دعم الحكومة للقطاع الصناعي العراقي بمعظمه والتي يمكن تحديدها في أهم النقاط التالية:

1. استيراد المنتجات الصناعية بمختلف أنواعها من دول الجوار الى جانب ضعف الحماية الكمركية لمنتجات القطاع الصناعي العراقي.

2. شحة الطاقة الكهربائية والماء المتوفرة للمشاريع الصناعية وخصوصا القطاع الخاص.

3. ازدياد عدد العمال والموظفين بعد العام 2003 بسبب ارجاعهم الى الوظيفة الذي شكل عاملا مهما في زيادة التكاليف الكلية على الإيرادات الكلية.

4. الفساد الإداري والمحاصصة الحزبية والولاءات السياسية والبيروقراطية الإدارية داخل مشاريع ومؤسسات القطاع الصناعي الذي أدى الى ضعف تنفيذ الخطط الإنتاجية في المشاريع الصناعية.

5. ضعف حلقة الوصل في ادارة المشاريع الصناعية بين الكادر الانتاجي والكادر الإداري.

6. البطالة المقنعة بسبب تزايد عدد الكادر الانتاجي والإداري في المشاريع الصناعية.

7. تقادم القاعدة المادية الصناعية من مكائن وآلات ومعدات (رأس المال الصناعي) من جراء الحروب المتعددة والعقوبات الإقتصادية المفروضة على العراق من قبل الأمم المتحدة مع نهب وتدمير ما بقي منها من قبل العصابات الدولية المنظمة.

وانطلاقا من ما سبق وورد أعلاه أقترح التالي:

1 . الحزم في تطبيق قانون حماية الصناعة العراقية من منافسة المنتوجات الأجنبية وكذلك التصدي لسياسة الإغراق التي تتبعها الدول المجاورة مثل إيران وتركيا.

2. معالجة مشكلة البطالة المقنعة من خلال نقلهم الى الفروع الصناعية التي تحتاجهم أو احالتهم الى التقاعد، حتى يمكن أن تحل مشكلة مساواة الإيراد الحدي مع الكلفة الحدية .

3. تأهيل الكادر الصناعي العراقي من خلال فتح دورات لتطويرهم ورفع كفائتهم الإنتاجية في داخل وخارج العراق .

4. اتخاذ اجراءات رادعة بحق البيروقراطية الإدارية ومعالجة الولاء السياسي والحزبي انطلاقا من مبدأ الرجل المناسب في المكان ومصلحة الإقتصاد الوطني وتقدم البلد .

5. ادخال اقتصاد المعرفة بشكل أساسي الى المشاريع الصناعية كمحرك رئيسي للتطور الاقتصادي، من خلال توافر تكنولوجيا المعلومات والاتصال واستخدام الابتكار إضافةً إلى توفر الموارد البشرية المؤهلة وذات المهارات العالية.

6. ابراز أهمية نظم المعلومات المتقدمة و النظم الخبيرة في عملية اتخاذ قرارات الإنتاج الصناعي.

7. الالتزام بالخطط الإنتاجية ومؤشرات الإحصاء الإقتصادي التي يصادق مجلس التخطيط المركزي ووزارة الصناعة العراقية عليها.

8. توعية المواطن العراقي بدعم المنتوج المحلي من خلال وسائل الإعلام الحكومية (التلفاز والمذياع والصحف والمجلات والأفلام السينمائية) على كافة المستويات الرسمية والشعبية وأن تساهم النقابات المهنية وفي مقدمتها العمالية وكذلك الاستفادة من تجربة سبعينيات القرن الماضي في هذا المجال .

الهوامش ومصادر البحث:

1. العيساوي، د. عبد الكريم جابر شنجار العيساوي : واقع الصناعة في العراق؟ ما العمل، شبكة الإقتصاديين العراقيين، نشر في 2015/09/30 .

2. وكذلك: (انظر للمؤلف، المشاكل الاقتصادية لتطوير صناعة الزيوت النباتية في العراق، اطروحة دكتوراه باللغة الروسية غير منشورة، أوديسا، أوكرانيا، 1981. ص 10 ، 17) النص الأصلي للإطروحة موجود في قسم أطاريح الدكتوراه في مكتبة لينين، موسكو .

3. اطروحة الماجستير للمؤلف باللغة الروسية: احتياطيات رفع انتاجية العمل في مصانع وزارة الصناعات الخفيفة والغذائية، أوديسا ، جامعة الإقتصاد الوطني، 1976 ، ص 55.

آراء حرة

الدفاع الجوي العراقي في القرن الحادي والعشرين..

نحو عقيدة سيادية لبناء قوة الردع الوطنية وحماية المجال الحيوي للدولة العراقية

هاشم معتوق

في التاريخ الحديث لم تعد سيادة الدول تُقاس بحدودها البرية وحدها، ولا بحجم جيوشها التقليدية فحسب، بل أصبحت السماء ذاتها الامتداد الحقيقي لوجود الدولة وهيبتها وقرارها المستقل. فالمجال الجوي لم يعد فضاءً تقنياً عسكرياً فقط، بل تحوّل إلى البعد الأكثر حساسية في معادلات الأمن القومي، وإلى الساحة الأولى التي تُختبر فيها قدرة الأمم على البقاء والصمود وحماية إرادتها السياسية. ومن هنا فإن الدفاع الجوي المعاصر لم يعد مجرد تشكيل عسكري تابع للقوات المسلحة، بل أصبح فلسفة سيادية شاملة ومنظومة استراتيجية مركبة تتداخل فيها التكنولوجيا والاقتصاد والعلم والهندسة والذكاء الاصطناعي والأمن السيبراني والإدارة السياسية العليا للدولة.

إن العراق، بحكم موقعه الجيوسياسي وثقله الحضاري وموارده الاقتصادية وطبيعته الاستراتيجية في قلب الشرق الأوسط، يمثل دولة محورية في توازنات الإقليم. وهذه الحقيقة تمنحه فرص القوة بقدر ما تضعه أمام تحديات معقدة ومتسارعة. فالدول المركزية في الجغرافيا السياسية لا تُترك خارج حسابات الصراع، بل تتحول دائماً إلى محور للتنافس والتأثير والاحتواء والضغط. ولهذا فإن بناء منظومة دفاع جوي عراقية حديثة لا ينبغي النظر إليه بوصفه مشروع تسليح تقليدي، وإنما باعتباره مشروعاً وطنياً سيادياً طويل الأمد، يرتبط مباشرة بمستقبل الدولة العراقية واستقرارها ووحدة قرارها الوطني، وبقدرتها على حماية شعبها وثرواتها ومؤسساتها ومجالها الحيوي من أي تهديد محتمل، سواء كان تقليدياً أو تكنولوجياً أو إلكترونياً أو سيبرانياً.

لقد شهد العالم خلال العقود الأخيرة تحولاً جذرياً في طبيعة الحرب الجوية. ففي القرن العشرين كان الدفاع الجـوي يعتمد بـــصورة رئيسية على المدفعية المضادة للطائرات والرادارات التقليدية والصواريخ الاعتراضية محدودة القدرات، أما في القرن الحادي والعشرين فقد أصبحت الحرب الجوية قائمة على التخفي الراداري، والذكاء الاصطناعي، والحرب الشبكية، والهجمات السيبرانية، والطائرات المسيّرة ذاتية التشغيل، والصواريخ الفرط صوتية، والتشويش الإلكتروني المتقدم، والأقمار الصناعية العسكرية، وأنظمة القيادة والسيطرة الرقمية.

وهذا التحول غيّر بصورة جذرية مفهوم الأمن الوطني ذاته، إذ أصبحت الدول المهددة ليست فقط تلك التي تُغزى برياً، بل تلك التي يمكن شلّ بنيتها التحتية ومراكزها السيادية ومنظوماتها الاقتصادية خلال ساعات عبر ضربات جوية وصاروخية وإلكترونية دقيقة. ومن هنا أصبحت السماء خط الدفاع الأول عن الدولة الحديثة.

إن موقع العراق في قلب غرب آسيا يجعله ضمن أكثر البيئات الجيوسياسية تعقيداً في العالم، فهو يقع ضمن فضاء إقليمي يشهد سباقات تسلح متسارعة، وتطوراً هائلاً في تقنيات الصواريخ والطائرات المسيّرة، وتصاعداً في الحروب غير المتناظرة، وتشابكاً دولياً وإقليمياً بالغ الحساسية. وبالتالي فإن العراق يحتاج إلى قراءة استراتيجية عميقة لطبيعة التهديدات الحديثة، لا بوصفها أحداثاً طارئة، بل باعتبارها حقائق مستمرة في البيئة الأمنية المعاصرة. فالتهديد الجوي الحديث لم يعد يعتمد فقط على أسراب الطائرات التقليدية، بل أصبح يتجسد في الطائرات الشبحية منخفضة البصمة الرادارية، والصواريخ الباليستية عالية السرعة، وصواريخ الكروز الدقيقة، وأسراب المسيّرات الانتحارية، والهجمات الإلكترونية على شبكات القيادة والسيطرة، وأنظمة التشويش والتضليل الإلكتروني، والحرب الفضائية والاستطلاع المداري. وهذه التهديدات تتطلب تحولاً شاملاً في فلسفة الدفاع الوطني العراقي.

إن الدولة التي لا تسيطر على مجالها الجوي تبقى سيادتها ناقصة مهما امتلكت من موارد أو جيوش برية. فالتفوق الجوي في الحروب الحديثة يعني القدرة على فرض الإرادة السياسية، وتعطيل البنية التحتية الحيوية، وشلّ الاقتصاد، وتقويض مراكز القيادة، وإضعاف الروح المعنوية الوطنية. ولهذا فإن الدفاع الجـو

الجوي لا يمثل مجرد سلاح دفاعي، بل يمثل الضمانة العليا لاستقلال القرار الوطني. إن قوة الردع الجوية لا تهدف إلى الحرب، بل إلى منع الحرب، فكلما امتلكت الدولة منظومة دفاعية متماسكة ازدادت كلفة الاعتداء عليها، وتراجعت احتمالات المغامرات العسكرية ضدها. ومن هذا المنطلق فإن بناء دفاع جوي عراقي متكامل هو مشروع لحماية السلام الداخلي والاستقرار الوطني والتنمية الاقتصادية بقدر ما هو مشروع عسكري.

وقد قدمت التجارب العالمية الكبرى نماذج متنوعة في بناء منظومات الدفاع الجوي الحديثة. فالولايات المتحدة اعتمدت فلسفة السيطرة الكاملة على المجال الجوي عبر الأقمار الصناعية والطائرات الشبحية والإنذار المبكر الفضائي والذكاء الاصطناعي وشبكات القيادة الموحدة والحرب الإلكترونية والسيبرانية، وقد أدركت أن التفوق العسكري الحقيقي لا يتحقق بالسلاح وحده، بل بقدرة الأنظمة المختلفة على العمل ضمن شبكة واحدة مترابطة. أما روسيا فقد طورت فلسفة تقوم على الدفاع الطبقي العميق عبر تشبع المجال الدفاعي بالرادارات وتنوع طبقات الصواريخ والدفاع بعيد ومتوسط وقريب المدى وكثافة الاعتراض والمرونة التكتيكية، وهو ما تجسد في منظومات مثل S-300 و S-400وS-500المصممة للتعامل مع مختلف أنواع الأهداف الجوية والصاروخية. في حين أدركت الصين أن الأمن الحقيقي يبدأ من التصنيع الوطني والبحث العلمي والاستقلال الإلكتروني وبناء قاعدة صناعية عسكرية متقدمة، فتحولت خلال عقود قليلة إلى قوة كبرى في أنظمة الدفاع الجوي والحرب الإلكترونية.

ومن هنا فإن العراق يحتاج إلى عقيدة دفاعية وطنية طويلة الأمد تقوم على الردع الاستراتيجي، وحماية السيادة، والاستقلال

تتمة ص التالية

زمن السوداني.. مئات الاستثناءات خارج الضوابط

كشف القيادي في "تيار القسم الوطني"، المنضوي في ائتلاف دولة القانون، عبد الرحمن الجزائري، عن صدور ألف استثناء "خارج الضوابط" من مكتب رئيس الوزراء السابق محمد شياع السوداني، خلال ٣ سنوات، بينما أشار إلى وجود ١٨٠٠ شهادة دكتوراه مزوّرة في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بينما اتهم السوداني بـ"تنفيذ المشاريع بطريقة لم يفعلها صدام حسين."

الجزائري وفي حوار تلفزيوني مباشر، أشار إلى أن "إحدى الكوارث في العراق، هي اكتشاف ١٨٠٠ شهادة دكتوراه مزوّرة في وزارة التعليم العالي، وبعض هؤلاء استلموا مناصب."

وأضاف، "أصحاب هذه الشهادات حصلوا على شهاداتهم من الخارج وعادلوها في العراق ومنهم من دخل إلى الانتخابات. النزاهة فتحت الملف حالياً، وتبيّن أن شهاداتهم من جامعات متعددة: تركيا وإيران ومصر ومدن عربية أخرى، وهذا يعتبر فساداً في وزارة التعليم."

وقال الجزائري: إن "الشارع العراقي ملتهب من قضية وكيل وزير النفط عدنان الجميلي، وملفات الكهرباء والماء والزراعة"، مبيناً أن "ملف الحجّ والعمرة أيضاً يشوبه الفساد."

وبيّن، أن "الحاج أو المعتمر العراقي، يدفع مبلغاً مالياً، كما أن لدينا الحجّ التجاري عبر دفع الأموال، وهذا يعتبر فساداً، لأن الطبقة الفقيرة التي سجلت منذ ٤ – ٥ سنوات ليس من حقها الذهاب للحجّ، بينما النواب لهم الأحقية في الحجّ مجاملة وعبر استثناءات"، مضيفاً ان "هيئة الحج والعمرة تابعة لرئاسة الوزراء، وهناك مجاملات للنواب والمسؤولين في هذا الإطار."

وأكمل قائلاً: "ما فسح المجال للفساد هو الاستثناءات، وكمثال قضية التعليم العالي والجامعات."

وكشف الجزائري، عن أن "الاستثناءات التي خرجت من مكتب رئيس الوزراء السابق محمد شياع السوداني، تجاوزت ١٠٠٠ استثناء خارج الضوابط، خلال الـ٣ سنوات، وتنوعت ما بين دخول شركات في قطاع الكهرباء والنفط وقطاعات أخرى."

وضرب الجزائري مثالاً عن ذلك، قائلاً: "عُرض مشروع حائط مصفى بيجي بقيمة ٣ مليار، بينما (الجماعة كاتبين ١٤ مليار)، والشركة المنفّذة نفس الشركات التي نفذت الجسور في بغداد والمحافظات."

وتابع الجزائري، "في زمن الطاغية صدام، كان يُكتب قطعة عند كل مشروع وجسر يتم إنشاؤه تتضمن مدة المشروع، وقيمته، والجهة التابع لها، بينما في حكومة محمد شياع السوداني، لا توجد حتى قطعة تعريفية عند الجسور التي تم إنشاؤها"، مبيناً أنه "لم يتم عقد أي صرف مالي لأي مشروع إلا بموافقة لجنة مكتب السوداني، وهذا أمر غير مقبول، حيث هناك لجان في الوزارات المعنية بالمشاريع."

« الدفاع الجوي العراقي »

التقني التدريجي، والمرونة الإلكترونية، والتكامل بين الأفرع العسكرية. ويجب أن تكون هذه العقيدة بعيدة عن الحلول المؤقتة أو ردود الفعل السياسية الآنية. كما يحتاج العراق إلى شبكة رادارية وطنية متكاملة، لأن الرادار هو عين الدولة في السماء. ولهذا ينبغي بناء منظومة تشمل رادارات بعيدة المدى، ورادارات منخفضة الارتفاع، وأنظمة كشف مضادة للتخفي، ورادارات متنقلة، وأنظمة كشف سلبي، وربطاً مركزياً موحداً للمعلومات، بحيث تُغطى كامل الأراضي العراقية ضمن شبكة إنذار مبكر مستمرة على مدار الساعة.

إن الدفاع الحديث يقوم على فلسفة الطبقات المتداخلة؛ فالطبقة البعيدة تُعنى بحماية المجال الوطني والمدن الاستراتيجية، والطبقة المتوسطة بحماية القواعد والمنشآت الحيوية، والطبقة القريبة بمواجهة المسيّرات والتهديدات المنخفضة، أما الدفاع النقطي فيتولى حماية المواقع السيادية الحساسة. ونجاح الدفاع الجوي لا يعتمد على نوع واحد من المنظومات، بل على تكاملها ضمن شبكة واحدة ذكية قادرة على تبادل المعلومات واتخاذ القرار بسرعة عالية. وفي العصر الحديث أصبحت الحرب الإلكترونية أخطر من بعض الأسلحة التقليدية، إذ يمكن للدول أن تُشلّ عبر تعطيل الرادارات، والتشويش على الاتصالات، واختراق شبكات القيادة، والتضليل الإلكتروني، وتعطيل الأقمار الصناعية. ولهذا فإن العراق يحتاج إلى قيادة سيبرانية وطنية، ووحدات حرب إلكترونية متخصصة، وأنظمة تشفير متقدمة، ومراكز بيانات عسكرية مؤمنة، وبنية اتصالات سيادية مستقلة. كما أن المستقبل العسكري العالمي يتجه بسرعة نحو الأنظمة الذاتية، والتحليل الفوري للبيانات، والمعارك الشبكية، والاعتراض الآلي، وإدارة التهديدات بالذكاء الاصطناعي، الأمر الذي يجعل السرعة المعلوماتية عاملاً حاسماً أكثر من عدد الصواريخ والطائرات. ومن هنا يجب على العراق الاستثمار في هندسة البرمجيات العسكرية، والذكاء الاصطناعي الدفاعي، وتحليل البيانات الضخمة، والأمن السيبراني، والأبحاث التقنية العسكرية.

إن الدولة التي تعتمد بالكامل على الخارج في تسليحها تبقى معرضة للضغط السياسي والتقييد الاستراتيجي، ولهذا فإن العراق بحاجة إلى مشروع وطني طويل الأمد للتصنيع العسكري يشمل تصنيع الرادارات، وتـــطوير المسيّرات، وإنتاج أنظمة التشويش، وتطوير البرمجيات العسكرية، وإنشاء مراكز أبحاث دفاعية، وبناء شراكات تكنولوجية عالمية. فالصناعات العسكرية ليست مشروع حرب، بل مشروع سيادة وتقدم علمي واقتصادي، وهي جزء أساسي من بناء الدولة الحديثة القادرة على حماية استقلالها وقرارها الوطني.

والغاية العليا من بناء القوة ليست صناعة الحروب، وإنما حماية الإنسان. فالدفاع الجوي الحقيقي هو الذي يحمي الأطفال والمدن والمنشآت، ويصون الاستقرار الوطني، ويمنع الفوضى والانهيار، ويؤمن التنمية الاقتصادية، ويضمن استمرار الدولة. والدول التي تمتلك قوة ردع متوازنة تكون أكثر قدرة على حماية السلام الداخلي والاستقلال السياسي. وإذا توفرت الإرادة السياسية والإدارة العلمية والاستثمار الوطني، فإن العراق قادر خلال العقود القادمة على بناء منظومة دفاع جوي تعد من الأقوى إقليمياً. ويمكن تحقيق ذلك عبر مراحل متدرجة تبدأ ببناء البنية التحتية الرادارية، وتحديث القيادة والسيطرة، وتطوير مكافحة المسيّرات، وتدريب الكوادر الوطنية، ثم الانتقال إلى امتلاك دفاع بعيد المدى متكامل وإدخال الذكاء الاصطناعي وإنشاء صناعات عسكرية تقنية، وصولاً إلى تحقيق استقلال تقني نسبي وامتلاك أقمار استطلاع وطنية وبناء منظومة ردع سيادية متكاملة.

إن مستقبل العراق لا يُبنى بالاقتصاد وحده، ولا بالسياسة وحدها، بل ببناء دولة قادرة على حماية نفسها وسيادتها ومجالها الحيوي في عالم شديد الاضطراب والتغير. فالدفاع الجوي ليس مجرد سلاح، بل هو تعبير عن نضج الدولة الحديثة، وعن قدرتها على صيانة قرارها الوطني وحماية شعبها ومواردها ومستقبل أجيالها. والعراق يمتلك جميع المقومات التي تؤهله لهذا المسار؛ من الثروة والجغرافيا والعقول والتاريخ والطاقات البشرية، غير أن تحويل هذه المقومات إلى قوة استراتيجية حقيقية يتطلب رؤية طويلة الأمد، وإدارة علمية متقدمة، واستثماراً عميقاً في التكنولوجيا والتعليم والبحث العلمي والصناعة الوطنية. وعندما يمتلك العراق منظومة دفاع جوي متطورة ومتكاملة، فإنه لا يبني مجرد درع عسكري، بل يبني حصانة وطنية شاملة تحفظ للدولة هيبتها، وللشعب أمنه، وللمستقبل العراقي استقراره وكرامته وسيادته.

غزة تتضور جوعا.. لتتوقف جرائم الإبادة الجماعية

" قطاع غزة يتضور جوعا. لا توجد قطرة واحدة من حليب الثدي لـ 186 طفلاً يولدون كل يوم. 90% من أطفال غزة يتناولون وجبة واحدة أو أقل من وجبة واحدة في اليوم. لا يوجد تخدير ولا مستشفيات يمكن للأمهات الحوامل المستضعفات الولادة فيها لأن مستشفى الولادة قد دمر... "

تدهور غير مسبوق...

الاقتصادية وتقييد التنقل، ما يزيد من معدلات البطالة والفقر.

على الصعيد الدولي، تتواصل الدعوات لوقف التصعيد وإدخال المساعدات الإنسانية بشكل عاجل، وسط تحذيرات من تداعيات استمرار الوضع الحالي على الاستقرار الإقليمي وفرص السلام. ورغم الجهود الدبلوماسية، لا تزال الحلول السياسية بعيدة المنال، في ظل تعقيدات المشهد وتباين مواقف الأطراف المعنية.

في ظل هذه الظروف، يبقى المدنيون الفلسطينيون الحلقة الأضعف، عالقين بين واقع إنساني صعب وأفق سياسي غير واضح، في واحدة من أكثر الأزمات تعقيدًا واستمرارًا في العالم.

لم تعد الحياة في الأراضي الفلسطينية مسألة يومية عادية، بل تحولت إلى صراع مفتوح من أجل البقاء. في كلٍّ من قطاع غزة والضفة الغربية، يعيش ملايين الفلسطينيين تحت ضغط مستمر من العنف والقيود، في واقع يتدهور بشكل متسارع منذ أكثر من عامين.

في قطاع غزة، لا تبدو الأزمة مجرد أرقام أو تقارير، بل واقعًا ملموسًا في تفاصيل الحياة اليومية. أحياء كاملة سُويت بالأرض، وعائلات فقدت منازلها وأصبحت تقيم في خيام أو مدارس مكتظة، حيث تغيب الخصوصية وتندر أبسط مقومات الحياة. الحصول على الطعام لم يعد أمرًا بديهيًا، بل تحديًا يوميًا، فيما باتت المياه الصالحة للشرب سلعة نادرة.

القطاع الصحي في غزة يترنح تحت ضغط غير مسبوق. مستشفيات مدمرة أو شبه متوقفة، نقص حاد في الأدوية والمعدات، وأطباء يعملون في ظروف قاسية تفوق قدرتهم. المرضى، وخاصة من يعانون من أمراض مزمنة أو خطيرة، يواجهون مصيرًا مجهولًا في ظل صعوبة الوصول إلى العلاج داخل القطاع أو خارجه.

الأطفال، الذين يفترض أن يكونوا في مدارسهم، يعيشون صدمات نفسية عميقة. أصوات القصف، وفقدان الأحبة، وانعدام الشعور بالأمان، كلها عوامل ترسم جيلًا مثقلًا بالخوف والقلق.

في النهاية، لا تبدو الأزمة مجرد صراع على الأرض، بل صراع من أجل الكرامة الإنسانية، حيث يدفع المدنيون الثمن الأكبر، في انتظار أفق لا يزال غامضًا.

***

" حرب إسرائيل على غزة ".. إلى أين تفضي؟ فلسطين... شهادة في وجه التعتيم الإعلامي

في غزة والضفة الغربية: الفلسطينيون بين نيران الحرب وضغوط الحياة اليومية

تشهد الأراضي الفلسطينية منذ عام 2023 تصاعدًا خطيرًا في الأوضاع الإنسانية والأمنية، حيث يعيش الفلسطينيون في كلٍّ من قطاع غزة والضفة الغربية تحت ظروف توصف بأنها من بين الأسوأ في العقود الأخيرة، وسط استمرار العمليات العسكرية والتوترات المتصاعدة.

في قطاع غزة، تبدو الصورة أكثر قتامة، إذ أدت الحرب المستمرة إلى دمار واسع في البنية التحتية، شمل منازل ومرافق صحية وتعليمية. ومع استمرار القيود على دخول المساعدات، يواجه السكان نقصًا حادًا في الغذاء والمياه الصالحة للشرب، إلى جانب انهيار شبه كامل للقطاع الصحي. ويعتمد معظم السكان اليوم على المساعدات الإنسانية المحدودة، فـــي ظل تحذيرات دولية من تفاقم خطر المجاعة وانتشار الأمراض.

الحياة اليومية في غزة أصبحت معركة للبقاء، حيث تعيش آلاف العائلات في مراكز إيواء مكتظة أو خيام تفتقر إلى أدنى مقومات الحياة. كما يعاني الأطفال من آثار نفسية عميقة نتيجة العنف المستمر وفقدان الأمان، في وقت تتكرر فيه انقطاعات الكهرباء والاتصالات.

أما في الضفة الغربية، فرغم غياب الحرب الشاملة، إلا أن الأوضاع تشهد تدهورًا ملحوظًا. فقد تصاعدت العمليات العسكرية والاقتحامات، خصوصًا في المخيمات والمدن، ما أدى إلى نزوح آلاف السكان وتدمير ممتلكات. كما تزايدت أعمال العنف المرتبطة بالمستوطنين، وسط اتهامات بعدم كفاية الحماية للمدنيين الفلسطينيين.

ويواجه الفلسطينيون في الضفة تحديات يومية تتعلق بحرية الحركة والعمل، حيث تؤدي الحواجز والإجراءات الأمنية إلـــى تعطيل الحياة

آراء حرة..

"الحرب التي غيّرت العالم"

حسن خضر*

الفرضية الرئيسة، هنا، أن انقلاباً طرأ على علاقة الدولة الإسرائيلية «بالغرب». لا نعني العلاقات السياسية والدبلوماسية، بل التصوّرات العامة، والروافع الأيديولوجية للعلاقة، وحقلها الرمزي. يمثّل الانقلاب طبقة إضافية من طبقات الرواية الإسرائيلية، خاصة في عهد بنيامين نتنياهو، الذي يسعى للاستفادة منها، ويراهن على إمكانية تدارك ما ينجم عن استخدامها من أضرار. تكوّنت العلاقة المعنية من خردوات وقطع غيار أيديولوجية لقوميات دينية وجماعات قومية، في أوروبا الغربية والولايات المتحدة، تنتمي إلى أقصى اليمين، وتمثل كتلة وازنة في حضور ملموس لقوى رجعية ومحافظة تبدو وكأنها موجة المستقبل الصاعدة.

تتجلى الطبقة الجديدة في صورة تأويلات لاهوتية وقومية (خردوات وقطع غيار مُستحدثة ومُستعادة من أزمنة مضت) تجعل من الدولة الإسرائيلية في نظر قوى مختلفة في صفوف المسيحية الإنجيلية تتويجاً لنبوءة دينية، وجزءاً من خطة إلهية. لذا، يندرج تصديق النبوءة، وقبول الخطة الإلهية، في شروط الإيمان، الذي يستدعي، بدوره، ويحض على، واجب حماية الدولة اليهودية، وتمكينها، كنوع من الالتزام الديني.

» الغرب» مشروط في أيديولوجيا القوميات الدينية بالمسيحية (البروتستانتية في المقام الأوّل، مع فرقها الكثيرة بطبيعة الحال) التي تمثل عماد حضارته، ومصدر هويته. لذا، في موقف هؤلاء من إسرائيل ما يتجاوز مصالح السياسة، وضرورات الإستراتيجية. ورغم أن التأويلات القومية، للبيض والشعبويين الجدد، لا تنجو من مكوّنات دينية، إلا أن روافعها الأيديولوجية أكثر دنيوية.

» الغرب» (المقصود أوروبا الغربية والولايات المتحدة، في الغالب) مهدد في نظر هؤلاء بفقدان هويته الحضارية، وخصوصياته العرقية والثقافية، نـــتيجة الموجات المتلاحقة للمهاجرين، والتحلل الأخلاقي والقيمي، وفساد النظم السياسية الليبرالية. وفي سياق كهذا، يمثل «الإسلام» مصدراً من مصادر التهديد الثقافي والديموغرافي، وتتجلى إسرائيل بوصفها طليعةً للغرب في تكريس الخصوصيات الدينية والإثنية، ونموذجاً يحتذى.

لسنا معنيين، هنا، بالكلام عن الجانب المظلم في سيرة القوميين المسيحيين والبيض، ولا حقيقة ما تنطوي عليه تصوّراتهم اللاهوتية، وهمومهم الدنيوية، من درجات متفاوتة من العداء للسامية في الجوهر. وقد ألمحنا إلى هذا الأمر في معالجة سابقة. فما يعنينا يتمثل في القول: إن للطبقة الجديدة تداعيات سلبية، تماماً، على فكرة الدولة الإسرائيلية نفسها، ومستقبل علاقتها بالغرب، حتى وإن صوّرتها بطريقة إيجابية ضرورات نفعية في سياق حرب لم تتوقف بعد. وطالما وصلنا إلى هذا الحد، فمن واجبنا تفسير المقصود بالتداعيات السلبية.

نقطة البداية، في هذا الشأن، أن المسألة اليهودية كانت، على مدار قرون، جزءاً من صراعات الهوية والمصير منذ صعود القوميات، والدولة القومية في أوروبا. كان الموقف من اليهود، وما ينطوي عليه من تداعيات، بالمعنى السلبي والإيجابي، في جذر الصراع على مفاهيم أساسية اقترنت بالدولة/ الأمة كالمواطنة، والمساواة، والحريات الفردية والعامة. وقد انعكس هذا الأمر بطريقة مأساوية على اليهود في كارثة الهولوكوست، وانعكس بطريقة إيجابية في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، في الديمقراطيات الليبرالية، والولايات المتحدة على نحو خاص، ناهيك عن دعم مشروع الدولة الإسرائيلية، وحمايته، ومدّه بأسباب البقاء.

المهم أن صراعات الهوية والمصير، التي بدت فيها المسألة اليهودية وسيلة إيضاح، مثالية، لمفاهيم كالمواطنة والمساواة والحريات والحقوق، جعلت منها أداة لقياس المفاهيم نفسها، وما يتصل بها من دلالات وممارسات يصعب حصرها. والمفارقة، هنا، أن موجة اليمين الديني والأبيض لا تعترف بالمسألة اليهودية كوسيلة إيضاح لمعنى المواطنة والمساواة على مدار قرنين من الزمان، وتحصرها في المعنى الضيّق كبرهان عـــلى

صدق النبوءة، وكالتزام من واجبات الإيمان.

وفي المقابل، وضعت حرب القيامة، التي لم تتوقف بعد، المسألة الفلسطينية على خطوط التماس بين قوى متصارعة على الهوية والمصير في «الغرب». وهذا أمر غير مسبوق. بمعنى آخر صارت للفلسطينيين في العالم، بعد حرب القيامة، المكانة التي كانت لليهود بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. وهذه، في الواقع، مفارقة من طراز نادر ورفيع.

على أي حال، التاريخ لا يكرر نفسه، كما يُقال. ولن يفيدنا، في هذا المقام، رسم سيناريوهات للمستقبل، فكل ما يمكن أن يُقال: إن الرصيد المعنوي للدولة الإسرائيلية لن يتمكن من تعويض ما استنزفته الحرب، التي لم تتوقف بعد، من رأس المال الأصلي، بينما تنفتح المسألة الفلسطينية على احتمالات قوية للتراكم.

تجد هذه الخلاصة ما يبررها في فرضية أن رهان إسرائيل الليكودية على اليمين «الغربي» في أكثر تجلياته فجوراً، أميركا الترامبية، مثلاً.. سيجعل من معارضي ترامب، لأسباب أميركية محضة، مرشحين طبيعيين أكثر من غيرهم للانخراط في معارضة سياساته في الشرق الأوسط.

ومع هذا في البال، لا توحي موجة اليمين، في صورتها الترامبية على الأقل، بالصعود بقدر ما تبدو أقرب إلى النكوص، بوصفها محاولة متأخرة، وشبه كاريكاتورية، رغم مأساويتها، لاستعادة إمبريالية القرن التاسع عشر. وفي المقابل، تبدو المسألة الفلسطينية أقرب إلى حقل القيم التي كانت، حتى وقت قريب، محجوزة للمسألة اليهودية. فاصل ونواصل.

---

* حسن خضر / كاتب فلسطيني

تشكيل

” رسوم الفنان جمعة السيد “ من على خشبة الطاولة تكشف أبعادا ثلاثية ورموزا خطابية بلا حدود..

عصام الياسري

بلغ سن الرشد ثم بلغ طعم الحروب جنديا: هويته مجهولة كتب له عنوان التضحية لاجل من يدافع ولاجل ـ ماذا ـ هوية ضحايا الجوع والقتل لهم مجاناً وتبقى الطغاة تعبث بالارض.
جمعه السيد

جمعه السيد... جغرافيةُ الخط، وأنطولوجيا الفحم

ثمة فنانون ينظرون إلى اللوحة بوصفها سطحا للرسم، وثمة آخرون يتعاملون معها بوصفها حقلا للتفكير. وفي هذا المستوى الأخير تتحدد تجربة الفنان جمعه السيد المقيم في العاصمة الألمانية برلين، إذ لا تبدو أعماله كفنان هاوي منتمية إلى التجريد بصفته أسلوبا فنيا فحسب، وإنما بوصفه موقفا معرفيا من العالم، ورغبة في تحرير الصورة من يقينها، وإعادة الإنسان إلى مركز الأسئلة الكبرى.

منذ الوهلة الأولى، يدرك المتلقي أن ما يواجهه ليس تراكما من الخطوط السوداء، ولا استعراضا لمهارة في استخدام قلم الفحم، بل نظاما بصريا شديد الانضباط، يخفي وراء بساطته هندسة داخلية معقدة. فكل خط يؤدي وظيفة، وكل فراغ يحمل قيمة، وكل علاقة بين الكتل تنتمي إلى منطق دقيق يجعل اللوحة أقرب إلى كائن حي، يتنفس بإيقاعه الخاص، ويتحول مع كل قراءة إلى احتمال جديد للمعنى.

لقد ظل الفحم، عبر تاريخ الفن، مادة أولى للتخطيط والدراسة والتمرين، غير أن جمعه السيد انتزعه من هامش العملية الإبداعية، ومنحه مركزها. لم يعد الفحم لديه مرحلة تسبق اللوحة، بل أصبح اللوحة نفسها. وبذلك أعاد الاعتبار إلى المادة في أكثر صورها تقشفا، وأثبت أن ثراء العمل لا يولد من تعدد الخامات، بل من عمق الرؤية التي تمنح المادة حياتها.

إن السواد في أعماله ليس نقيض الضوء، بل شرط ظهوره. فالعتمة هنا لا تحجب الرؤية، وإنما تكشفها، والخط لا يرسم الأشياء بقدر ما يكشف طاقتها الكامنة. ولهذا تبدو أعماله وكأنها تنحت الضوء داخل الكتلة، لا أن تضعه فوقها، فيتحول الأسود إلى فضاء تتولد منه احتمالات لا نهائية من الإشراق.

المسيرة: وقوافل القتلى من تشرين قُتلوا على ايدي الأجرام من القبة الخضراء

غير أن فرادة جمعه السيد لا تكمن في اختياره للفحم وحده، وإنما في علاقته الفيزيائية والروحية بالعمل الفني. فهو ينجز معظم أعماله فوق لوح المنضدة، في وضع أفقي يختلف جذريا عن تقاليد الرسم على الحامل. وهذه الخصوصية ليست تفصيلا تقنيا، بل مفتاحا لفهم عالمه التشكيلي.

فالمنضدة، في تجربته، ليست بديلا عن الحامل، وإنما فضاء آخر للرؤية. حين ينحني الفنان فوق سطح العمل، تتبدل علاقة الجسد باللوحة، ويغدو فعل الرسم أقرب إلى فعل الكتابة، أو إلى اشتغال الناسخ القديم على مخطوط نفيس، أو إلى تأمل المعماري في مخطط مدينة لم تولد بعد. هنا لا يعود الخط حركة استعراضية للذراع، بل يصبح امتدادا مباشرا للفكر، وتتحول اليد إلى أداة تأمل أكثر منها أداة تنفيذ.

وربما لهذا السبب تمتلك خطوط جمعه ذلك القدر من الهدوء واليقين. فهي لا تبدو مرسومة تحت ضغط الانفعال، بل مولودة من تأمل طويل، كأن الفنان لا يضيف الخط إلى الورق، بل يكتشفه فيه. وهذه السمة تمنح أعماله كثافة زمنية نادرة؛ إذ يشعر المتلقي أن كل تكوين مر بمراحل من التفكير قبل أن يبلغ صورته النهائية.

تتمة ص التالية 28

العراق والثقافة..
مسيرة الإبداع في الجمهورية العراقية الأولى

ثورة الرابع عشر من تموز 1958: حين انفتح العراق على نهضة الثقافة والفنون وصيانة الذاكرة الحضارية.

في 14 تموز 1958 تحول النظام السياسي في العراق من ملكي إلى جمهوري. وعلى الرغم من قصر عمرها حققت الثورة الكثير من الإصلاحات ما يهمنا هنا ما حققته في المجالات الثقافية والأدبية والفنية. إذ حرصت على صيانة الآثار وحفظها. وإذا ما تحدثنا بلغة الوقائع والتركيز على المنجزات فالثورة ركزت بشكل مميز لم يسبق له مثيلا على الثقافة والفنون والبعد الحضاري بإشارات موثقة تحولت من نص إلى قانون الآثار والتراث ومخطوطة لتطوير المتحف العراقي.

إلى كل الذين آمنوا بأن الثقافة ليست ترفًا، وأن الكلمة والصورة واللحن يمكن أن تصنع ذاكرة وطن.

فشكرا لرواد الفكر والأدب والفن، المسرح، السينما، الموسيقى والفن التشكيلي العراقي، الذين حملوا أحلام مجتمعهم خلال مسيرة الإبداع في الجمهورية العراقية الأولى.

وتركوا للأجيال القادمة أثرًا لا يغيب.

صوت الصعاليك

جمعه السيد... جغرافيةَ الخط، وأنطولوجيا الفحم

ولا ينفصل هذا البناء الشكلي عن البنية الفكرية للعمل. فالسيد لا يبحث عن التجريد لذاته، وإنما يجعله وسيلة للنفاذ إلى البعد الإنساني. الإنسان في أعماله ليس هيئة مرئية، بل حضور أخلاقي وروحي، يتجسد في قيم الحرية والكرامة والتسامح والأمل والمقاومة الداخلية. لذلك لا تقدم لوحاته خطابا مباشرا، ولا تستعير لغة الشعارات، بل تجعل من الرمز وسيلة لاكتشاف الإنسان في أكثر لحظاته صفاءً وهشاشة.

ومن هنا فإن البعد الثالث الذي يميز أعماله لا يقتصر على الإيهام بالعمق، بل يتجاوز ذلك إلى بناء فضاء نفسي، تتحرك فيه العلامات كما تتحرك الأفكار داخل الذاكرة. إننا لا نرى كتلة وفراغا فحسب، بل نشهد حوارا بين المرئي واللامرئي، وبين الحضور والغياب، وبين ما تقوله الخطوط وما تتركه للصمت.

إن تجربة جمعه السيد تضعنا أمام سؤال جوهري: هل وظيفة الفن أن يعكس العالم، أم أن يعيد خلقه؟ ويبدو أن الفنان يجيب عن هذا السؤال من خلال أعماله نفسها. فهو لا يعيد إنتاج الواقع، بل يعيد ترتيب علاقاته، ويكشف البنية الخفية التي تربط الإنسان بالعالم، فيصبح التجريد وسيلة لاستعادة الجوهر، لا للهروب من الواقع.

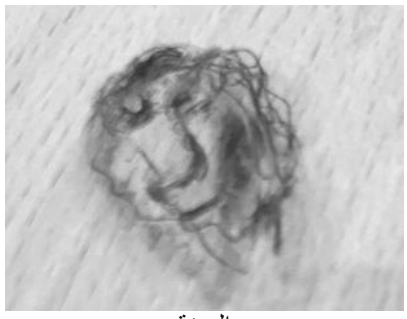
الهدنة

لهذا يمكن النظر إلى مشروع جمعه السيد بوصفه مشروعا في اقتصاد الوسيلة وثراء الدلالة؛ فكلما تقلصت أدواته، اتسعت آفاق المعنى. وكلما ازداد تقشفه البصري، ازدادت كثافة حضوره الفكري. وهذه معادلة لا ينجح فيها إلا الفنانون الذين يمتلكون ثقة كاملة بأن الفكرة هي المصدر الأول للجمال.

إن أعمال جمعه السيد لا تطلب من المتلقي أن يعجب بها، بل أن يصغي إليها. فهي لا تفرض

سنعود : يا بغداد ونقتلعهم جميعا ولنا فيها جولات

نفسها بالصخب، وإنما تستقر في الذاكرة بهدوء، شأن النصوص الكبيرة التي لا تكشف أسرارها من القراءة الأولى. وهنا تحديدا تتجلى قيمة هذه التجربة؛ إذ تؤكد أن الفن الحقيقي لا يستهلك، بل يُعاش، ولا يُفسَّر نهائيا، بل يظل قادرا على إنتاج معنى جديد كلما تغيرت زاوية النظر إليه.

ولعل هذا ما يجعل تجربة جمعه السيد واحدة من التجارب الجديرة بالقراءة النقدية المتأنية؛ فهي لا تقدم منجزا تشكيليا، بل تقدم تأملا بصريا في الإنسان، وفي الزمن، وفي العلاقة الخفية بين الخط والفكرة، وبين المادة والروح. إنها تجربة تؤمن بأن أبسط الأدوات قد تصبح أكثرها قدرة على التعبير، حين يقودها عقل مبدع، وبصيرة ترى ما هو أبعد من الشكل، وأعمق من اللون، وأبقى من اللحظة العابرة.

شظايا ذكريات

« دمعة في المطر »

كفاح الزهاوي

كنتُ ضمن حركة الأنصار في أيام الكفاح المسلح في جبال كردستان ضد دكتاتورية صدام، حيث كان الموت يتساقط من السماء على شكل غازات كيميائية تخنق القرى والناس. كنتُ أعرف أن النجاة تكمن في الماء، فأغسل جسدي سريعًا لأطرد السموم، وأواصل السير بين الخراب. وبعد سنوات من المنفى في إيران وسوريا، درستُ في أوكرانيا، وهناك تعرفت إلى فتاة أوكرانية، لكن زواجنا لم يتم إلا في السويد، حين جاءت لزيارتي ثم التحقت بي بعد عام. أنجبنا طفلين في السويد، وعشنا سنوات طويلة قبل أن ينتهي الزواج بالانفصال.

في السويد، حيث قضيت اثنين وثلاثين عامًا، بدأت أكره العنف وأتأقلم مع حياة جديدة، تتمتع بالحرية والسلام. تعلمت لغات، واكتسبت خبرة واقعية من ثقافة أوروبية، عانت هي الأخرى من الحروب قبل أن تنهض؛ لتبني مجتمعًا خاليًا من العنف والتعصب. هناك أيضًا تزوجت مرة أخرى من فتاة تايلندية، عاشت معي ستة عشر عامًا في السويد، قبل أن ننتقل معًا إلى تايلند بعد تقاعدي.

في تايلند، صار الألم، أيًّا كان مصدره، يجرحني بعمق لا يُحتمل. وحين مرضت قطتي ساندي وفقدت شهيتها، بدا البيت مثقلًا بالقلق. وفي نهار ماطر، اختفت فجأة. بحثنا عنها طويلًا بين الحشائش العالية والأزقة الغارقة بمياه المطر، فيما كان قلبي ينهار مع كل دقيقة تمر، متخيلًا إياها وحيدة في العراء، ضعيفة أمام قسوة الطقس.

وأخيرًا، وجدناها نائمة تحت الأريكة، بين القاعدة والشبكة المعدنية، كأنها تبحث عن مأوى صغير يحميها من العالم. حين رأيتها،

انهمرت دموعي بحرقة. لم يكن ذلك مجرد خوف على حيوان أليف، بل كان استحضارًا لكل صور الفقدان التي عشتها في ضعفها رأيت انعكاسًا لكل الأرواح التي أُزهقت، وشعرت أن قلبي لم يعد يحتمل رؤية أي كائن يتألم.

هكذا، بين ماضٍ غارق في الدم وحاضرٍ يفيض بالرحمة، وجدت نفسي شاهدًا على التحول الذي تصنعه التجارب القاسية: من مقاتلٍ في الجبال إلى إنسانٍ ينهار أمام دمعة قطةٍ مريضة، كأن الرحمة هي آخر ما تبقى لي من كل تلك الحروب.

مقاربات

ما بين المقارنة والمفارقة.. إستقالة وزيرة وراتب عالية

علي حسين

أحياناً يلومني قرّاء أعزّاء وهم يقولون بمحبّة: هل تتوقع أنّ ساستنا ومسؤولين يقرأون؟ وأنهم سيطيلون النظر في سطورك التي تحشيها بتجارب الشعوب، وحكايات عن سنغافورة وألمانيا وطوكيو والنهضة التي تشهدها بلدان الخليج؟ أنا أيها الأعزاء أطمح لأمر واحد، هو أن أجد أمامي نوّاباً وساسة ومسؤولين يعرفون معنى المواطنة، لا أقبل أن يتحسّر العراقي وهو يسمع أن محافظات العراق تعاني من سوء الخدمات وشبابها بلا عمل، فيما العديد من المسؤولين يتمتعون بما "لفلفوه" من أموال .

يا أصدقائي الأعزّاء، أنا وأنتم مواطنون في بلد يستقوي عليه ساسته وإخوانهم ورفاقهم، كنت أمنّي النفس بمسؤول على شاكلة وزيرة الثقافة في مصر مصر جيهان زكي، التي قدمت استقالتها بعد صدور حكم قضائي في قضية تتعلق باقتباسها مقاطع من كتاب للكاتبة سهير عبد الحميد من دون الإشارة إلى المصدر، بل إن المحكمة غرّمت الوزيرة مبلغ "100 ألف". من منا سمع أن وزير الداخلية في بلاد الرافدين قدّم استقالته بعد كارثة تفجير الكرادة؟ وربما كنا نضحك على بعضنا حين توهمنا أن الوزيرة المؤمنة عديلة حمود ستقدم استقالتها بعد أن أكلت النار عشرات الأطفال الرضّع في مستشفى اليرموك. ربما يسخر البعض من وزيرة قدّمت استقالتها لمجرد خلاف على كتاب، في الوقت الذي تطمئن فيه النائبة عالية نصيف أن رواتبها ومخصصاتها ورواتب حمايتها ستُصرف لها رغم اعتقالها واتهامها بقضايا فساد مالي. فنحن في بلاد يتجرع فيها المواطن الحقيقة بمذاقها المرّ، وهي أن لا شيء مهمّ في هذه البلاد سوى سلامة الكراسي.

المسؤولون، ومن ثم فلا تسألوا عن مصير الأموال التي نُهبت والقصور التي شُيدت، مثلما لا يحقّ لكم أن تسألوا أين وصل التحقيق في قضايا فساد النواب؟!

وأتمنى أن لا يعتقد البعض أنني ضد إجراءات القضاء، أنا مع المحاسبة إذا كانت لمصلحة الوطن، فمنذ سنوات ونحن نعيش في ظل مزاد الاستجوابات.. وأصبح بعض النواب حيتاناً للصفقات والمقاولات والعمولات.

حين قرأتُ خبر استقالة الوزيرة المصرية أدركت أنني تجنّيت على مسؤولينا كثيراً، فهذه المرأة ارتكبت جرماً كبيراً، لأنها اعتدت على حقوق ملكية فكرية، ولهذا كان لا بد لها من أن تخرج إلى وسائل الإعلام لتقول إنها لا تستطيع التخلّي عن كرامتها من أجل المنصب؛ في الوقت الذي يعتدي فيه المسؤول العراقي على أموال البلاد ويخرج علينا في نفس الوقت ليقول: هذا من فضل ربي. لو سألتَ أيَّ مواطن عراقي عن موقف الوزيرة المصرية، فقد يموت قهراً أو ضحكاً! لأنه لا يستطيع أن يقول لمسؤول صغير: قدّم استقالتك.

ما يهمني في الخبر ليست استقالة الوزيرة، وإنما إصرار ساستنا على أن الكرسي أهم وأبقى من الوطن.

مرايا

الذكاء الاصطناعي وأثره الفاعل في قتل الإبداع

د-غازي هلال مخلف

من المعلوم لدى غالبية فئات القراء والمثقفين أن الموروث القديم في كل أصنافه يبقى أصل كل شيء، وأن كل من يحاول معه شيئًا فلن يفلح أبدًا حتى وإن ظن أنه قد حقق موطىء قدم في هذه المعركة ولا سيما على جهة العلم والفن والأدب، تلك العلوم التي تجمعها في آخر المطاف خيمة الإبداع، ولا شك في أمر مهم غاية الأهمية مفاده أننا لسنا ضد التطور والتجدد في كل مناحي الحياة، لكننا ضد ذلك التطور المزعوم الذي ستكون مآلاته النهائية النيل الحقيقي من ذلك الموروث الأصيل على جهة التشويه والتغيير بل وحتى المحو.

لقد كنا على علم يقين من تلك الحقائق التي كانت متأصلة في أعماق أولئك المبدعين القدماء الذين دأبوا على إعطاء قضية الإبداع أهمية كبيرة وكبيرة جدًا وملاحاة قضية الاتكال غير المسوغ والاتكاء غير المحبب وعلى جهة التحديد في مسألة ابتكار الأفكار الجديدة والصور الفريدة والأساليب غير المطروقة.

كنا نسمع عن ذلك المحدث الذي يضرب أكباد الإبل زمنًا طويلًا حيث الشهر والشهران من أجل التأكد من صحة ذلك الحديث الوارد عن نبينا الأكرم محمد ﷺ تجنبًا منه لتحقق مخاوف كثيرة منها على سبيل التمثيل الذي يخص سياقنا هذا تخوفه من تقليدية ابداعه الذي كمن في ذلك التعب الكبير المبذول في ذلك السفر الطويل بغية الحصول على إبداعية تحقيق ذلك الحديث وكذا تحقيق صحته في وسط تلك الفوضى العارمة من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة فهذا العالم هنا لم يتكىء في هذا الجانب على قضية النقل المبسط الساذج عن غيره من المحدثين من أجل حيازة صحة ذلك الحديث، بل هجر لذائذ الحياة ومتاعها الناعم بغية تحقيق نصر ابداعي يخصه هو دون سواه من محدثي عصره وذلك دونما شك ابتكار وابداع عار عن التقليد والاتكالية والاتكاء، وغيره ذلك الشاعر العربي الذي انتهج نهج الحوليات الكاملة من أجل تحقيق هدف سام يتمثل في بناء نص شعري يستحق بجدارة هوية الإبداع والابتكار، فنراه بين الفينة والأخرى يستغني عن هذه الصورة ويستبدلها بتلك، ويترك ذلك اللفظ لحساب غيره من الألفاظ ويفضل هذا المعنى على ذاك، يقدم هذا البيت ويؤخر الآخريضيف أبياتًا أخر حتى تكتمل تلك القصيدة بناءً فنيًا ناضجًا ذا مهابةٍ وقيمةٍ وحضور ومنافسة،فهو هنا إنسان مبدع مبتكر حقيقي الإبداع حقيقي الابتكار وكان بإمكانه الاتكاء على ذلك الشاعر وهذا الشويعر مستجديًا منه تلك الصورة وذلك المعنى، لكنه أنف هذه التكرارات المزعجة الساذجة وأبى إلا أن يبني مملكته الشعرية معتمدًا كيانه الخاص به دون سواه وذلك دونما شك لن يجاريه أحد في مسألة استحقاق الإبداع وهوية الابتكار، كنا نسمع بذاك العالم الذي نسف مؤلفه بتمامه تخوفًا منه بعدم تمكنه من إقناع المتلقي بما كتب، ولضعف قناعته التامة بمضمون ذاك الكتاب وتوجهاته ولتيقنه بموت رسالته التي يروم إيصالها في منتصف الطريق قبل ان تكتمل ولادة وصولها الى القارئ، ثم يعود أدراجه ساهرًا الليالي الطوال متحملًا أيامه العجاف معملًا فكره الى أبعد عمق من أجل إعادة كتابة ذلك المؤلف ووضع هيكلية صياغية جديدة لمضامينه ورسم خارطة أخرى للإقناع من خلال مضمونه الجديد ، وهو هنا لا يدخر جهدًا وإن كان جهيدًا من أجل تحقيق مسألة حقيقة الإبداع وأحقية الابتكار ولكي يضمن لنتاجه الجديد الخلود في أذهان المتلقين، هذا الجهد الذي يأنف بشدة قضية الاتكال على الغير والاتكاء على الفتات الحقير بغية بناء مملكة علمية أقل مساوئها انها لم تتعد طرف اللسان الذي عجز النطق بها فضلًا عن المساوىء الكثيرة الأخرى.

أما اليوم....ونحن نفرح بهذه الطفرات القوية في التطور المخيف والتحديث المتواصل لكل دعائم الحياة والتجديد المتواصل والتجريب المفتعل ليس لنا إلا مواجهة الحزن الآتي دون ريب في ذلك على الأقل في هذا المضمار الذي نتحدث عنه،فالاتكال والاتكاء على عكاز مهترىء أعوج أصبح ديدن المثقفين والمتعلمين الذي يرومون صناعة الإبداع الحقيقي ، فإنسان اليوم أصبح قاب قوسين أو أدنى من إضاعة تلك الثوابت الأصيلة الموروثة ، أصبح ما يسمى بالذكاء الاصطناعي على مختلف مشاربه (شات جي بي تي – موقع جيميناي ...) وغيرها من مواقع الشبكة العنكبوتية، أصبح أداة الإنسان الفاعلة في صناعة حياته الحيوية بالمفهوم العميق الدقيق، فالأكاديمي لا يتورع في إظهار عجزه في صناعة محاضرته اليومية أو خطته البحثية أو توجيهاته العلمية مستنقصًا توظيف بعض وقته المهدور أصلًا في التطواف بين المراجع والمصادر من أجل الحصول على بغيته المنشودة، صار يخاطب ذلك ال جي بي تي :

أريد كذا...أرغب في عمل كذا... وما هي إلا لحظات حتى يجد المارد الكبير بصرخته المعهودة(شبيك لبيك ال جي بي تي بين يديك) فتظهر له المحاضرة والخطة والمؤلف كاملًا بين يديه دون عناء فيفرح فرحًا عظيمًا كونه حصل على مراده بهذه البساطة الاتكالية الاتكائية وهو لا يدري...بل يدري أنه بهذه العملية إنما يذبح عروق الإبداع في أعماق عقله ويمحو قناة الابتكار من أصولها في وجدانه وشيئًا فآخر يلفي نفسه عاجزة متخمة لا تتمكن من صياغة جملة أو إخراج فكرة أو ابتكار أسلوب أو العثور على طريقة ملائمة للبناء، ولا نستغرب في القريب العاجل من تحقق معجزة صناعة القصيدة بوساطة هذه التقانات والآليات والأدوات فضلًا عن منافستها الواهمة لقصائد جهابذة الشعراء الآخرين، ثم إن المكلف بكتابة بحث أكاديمي في أي تخصص أصبح في حل دائم من هذه المعضلة فبدلًا من إجهاد نفسه في البحث عن المصادر والمراجع ووضع الخطة المناسبة و وتشخيص المشكلات واستخلاص النتائج وإيجاد الحلول وصلت المسألة في قصرها الى مجرد إصدار الأمر المناسب لتلك الآلة لكي تخطط وتكتب وتحلل وتنقد وتفسر ومن ثم تستنتج، وما هي سوى دقائق حتى تصل معجزة هذا البحث استواءها الناضج، فهل علينا أن نفرح؟ أم علينا بشق الجيوب ولطم الخدود واستدعاء دعوات الجاهلية حزنًا لهذا المآل المخزي الذي وصلنا إليه؟

أن مثل هذه الإبداع والابتكار لا ريب يعاني فقدان الفلسفة والنخبة والفخامة ووو.... ولسنا نشك في ذلك القبح الذي يخرجه الينا جاهزًا مقولبًا دون عناء،على أن تحقق مسألة السرعة في تحصيل النتائج وتطور الأدوات تزامنًا مع هذا التطور الزمني الهائل ليس له أن يشفع لأولئك المدافعين عن هذا الخراب بل هذا التخريب المتعمد لقدرات عقول البشر المُجِدّ كثيرًا من مواهبهم الإبداعية وأفكارهم النخبوية والمهاجمين غيرهم من المنتقدين فذلك معاده ومنتهاه الى إماتة بذرة التنمية والحيوية والنشاط داخل عقول البشر فضلًا عن أرواحهم، ولعل أولئك المنتفعين عن هذا الاتكاء الاصطناعي سيحاولون حتمًا التخفيف من حدة لغة مخالفيهم حينما يحاولون إقناعهم بالعودة الى الوراء كثيرًا مسوغين هذه الاتكالية متمثلين قول أبي الفتح البُستي:

تتمة ص التالية 31

» الذكاء الاصطناعي «

*إذا أبصرت في لفظي فتورًا
وخطي-و(علمي)- والبلاغة والبيان

*فلا ترتب بفهمي إن رقصي
على مقدار إيقاع الزمانِ

فهنا...ألقى القائل تبعة تحقق الفتور بل الموت المتعمد في الخط والعلم والبلاغة والبيان ووقوع هذا التحييد الخطير لتلك العلوم العظيمة وثمارها العميمة متكئًا على الزمان المحدد ظلمًا وبهتانًا بذلك الإيقاع ومقداره وكأن هذا الزمان هو من منع هذا القائل من بناء الهمة وجدة البحث وجودة الابتكار وتجلي الإبداع وألجأه تجبرًا الى الاستمساك بجذع ذلك الفتور حيث الاتكاء والاتكال.

إننا نرى من وجهة نظرنا أن الاعتماد الكلي على مسألة الذكاء الاصطناعي ومواقعه بالكلية ولا سيما ما يتعلق بقضية إجهاد النفس على البحث والبناء والطرح وتأسيس صروح الإبداع والابتكار أمرٌ يفضي في نهايته الى حصول شكل من أشكال النكوص السلبي الذي ستكون أسوأ نتائجه قتل الريادة بأطرها العامة ولا ضير دون شكٍ من بناء نوع من المصالحات الإيجابية بين الإنسان المبدع وبين تلك الآلات المصطنعة التي هي في أصل وجودها خرجت من رحم أفكار هذه البشرية ولا بأس في أن تتمثل تلك البشرية قول أبي فراس الحمداني الذي نزعم بوجود تمازج روحي من نوع ما بينه وبين سياقات موضوعنا هذا:

*تناهض القوم للمعالي
لما رأوا نحوها نهوضي

*تكلفوا المكرمات كدًّا
تكلّف الشعرِ بالعروضِ .

إننا اليوم نعاني بل نواجه وبشدة خطورة تنميط الإبداع والابتكار بل المحو الحقيقي لهويته تمامًا مثلما نعاني خطورة تنميط القصيدة العربية،

إننا دونما شكٍ في مسيس حاجةٍ الى إعادة حثيثة حقيقية لكثير من أمورنا الحياتية، منها على سبيل التمثيل مراجعة ناقدة وصحيحة لفلسفة عقولنا التي تخلت متعمدة عن غطرسة البحث والإبداع والابتكار والتنمية حتى مع وجود ميزة البطء المتأني الإيجابي وخضعت عامدة لراحة ودعة ونعومة هذا الذكاء الاصطناعي الذي أضحى آخذًا دور الحياة بكل تفاصيلها مكان البشرية منتزعًا منها صفة الإنسانية وعلو الهمة والجدية.

مواويل النزوح

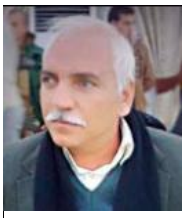

مراد سليمان علو

(1)
وحدي في خيمتي،
وقفت دقيقة صمت...
حزنًا على حالي.
حزين أنا كـ(شنكال)،
مكسور الخاطر كـ(سيباى)،
ووحيد مثل داري.

(2)
كتبتم في جرائدكم ومجلاتكم كيف احترقت خيمته،
وأعلنتم على التلفزيون كيف مات حرقًا،
ولم تسألوا أنفسكم أبدًا...
كيف كان يعيش؟

(3)
أصابعكِ ما مدّت يومًا لتلامس أصابعي.
دائمًا كان هناك غراب ساخر،
ريح تلهو،
ومطر ينوح.
أما أصابعكِ،
فبقيت دافئة في جيبكِ كحلم.

(4)
في ليل ألمي الطويل،
أناديكِ بصمت...
أعلم كم أنتِ بعيدة،
ولكن اسمكِ حين يرقص على شفتيّ
يريح صدري المتعب،
يزيل ألم كتفي الأيسر،
تهدأ صرخات ركبتي،
وتعود شراييني للعمل،
وأتصالح مع قلبي.

(5)
"أقبل الليل"..
وتسللت الكآبة إلى المواويل.
قطار الرغبة يقطع الذاكرة ذهابًا وإيابًا.
ومثلكِ أنا أيضًا،
لا أؤمن بالحبّ القريب،
ولكنكِ بعيدة جدًا،
كقرية (شنكالية).

(6)
في حبّي لكِ،
الهجر كان فضيلة،
أيتها القروية الجميلة،
كنجمة بعيدة.

(7)
الخيمة تطل على نوح الأغنية،
المطرب الشعبي حزين،
كل حفلات العرس هاجرت إلى ألمانيا،
وحجول جبل (شنكال) التحقوا بكورال الكنيسة القريبة.

* الخسائر البشرية (الإبادة): قُتل نحو 5,000 شخص من الإيزيديين، في حين اختُطف آلاف النساء والأطفال واقتيدوا كسبايا، وهو ما صنّفته تقارير الأمم المتحدة كجرائم ضد الإنسانية وإبادة جماعية.

أدب

» بينَ جماليّةِ اللغةِ وعمق الشعور«... قراءةٌ في رواية ((مرال... أكثر من وداع)) للروائي جمال سليمان.

د. وليد عويد حسين

ثمّة روايات تُقرأ، وأخرى تُعاش بوصفها تجربة شعورية كاملة. وثمّة نصوص تمرّ عبر العين لتستقرّ في أعماق الروح طويلًا، كندبةٍ مضيئة، أو كأغنيةٍ بعيدة لا يخفت صداها. ومن هذا الطراز الإبداعي تأتي رواية ((مرال... أكثر من وداع)) للكاتب الحصيف جمال سليمان؛ عمل مشغول بعناية لغوية رفيعة، ومكتوب بحساسية إنسانية مرهفة، حتى يبدو القارئ إزاء نصٍّ يُنصت إلى ارتجافات الروح بقدر ما يروي الحكاية.

منذ الصفحات الأولى يكتشف المتلقي لغةً تمتلك قدرة عالية على ملامسة الجرح الإنساني بهدوءٍ عميق، وعلى تشييد المعنى من التفاصيل الصغيرة التي تتكاثف داخل النسيج السردي لتغدو إشاراتٍ نابضة بالدلالة. ويمنح الكاتب لغته موقعًا محوريًا داخل الرواية، فتتحول العبارة إلى كيان حيّ يشارك الشخصيات انفعالاتها وهواجسها. لذلك جاءت اللغة شفافة، شاعرية، متأنية، قادرة على تحويل الألم إلى جمال سردي مشبع بالإحساس.

وقد كتب جمال سليمان نصّه بروح الشاعر ووعي الروائي في آنٍ واحد. فالجمل تنساب بإيقاعٍ هادئ نافذ، تتخللها تأملات وجودية عميقة في الغياب والمنفى والهشاشة الإنسانية والخوف من الفقد. ويشعر القارئ أنّ الرواية كُتبت بالحبر نفسه الذي تُدوَّن به الرسائل الأخيرة؛ لذلك امتلأت بذلك الحزن النبيل الذي يترك أثره العميق في القلب من غير ضجيج.

ويظهر النضج الفني للرواية في قدرتها على ضبط العاطفة ضمن إطارٍ جمالي متزن، إذ تتجسد الأحاسيس بوصفها خبرةً إنسانية عميقة تتجاوز الانفعال العابر. ولهذا جاءت العاطفة صادقة، نقيّة، متحررة من التكلف، مما منح النص حرارةً داخلية تنبع من صدق التجربة نفسها.

كما تتجلّى براعة الكاتب في بناء المشهد السردي عبر التفاصيل اليومية الدقيقة: ورقة على طاولة، معطف لا يُغلق جيدًا، فنجان قهوة، رسالة مؤجلة، صمتٌ يتمدد بين شخصين... جميعها عناصر تتحول إلى أدوات دلالية تكشف هشاشة الشخصيات ووحدتها الداخلية. وتغدو التفاصيل جزءًا من البنية النفسية العميقة للرواية، ومكوّنًا أساسيًّا في تشكيل رؤيتها الشعورية.

وتنشغل رواية ((مرال))بما تتركه الأحداث داخل النفس البشرية من تصدعاتٍ خفية وآثارٍ ممتدة، لذلك تتجلى قوتها الحقيقية في قدرتها على الغوص داخل الإنسان وكشف طبقاته الداخلية بحسٍّ تأملي رفيع. فالشخصيات تنبض بالحياة، تتألم وتتردد وتقاوم، وكأن الكاتب منحها شيئًا من روحه وتجربته الإنسانية.

ومن أبرز ما يلفت الانتباه في هذا العمل تلك اللغة التي تجمع بين الرهافة والاتزان، حيث تتدفق الصور البلاغية والانزياحات المكثفة بانسياب طبيعي ينسجم مع روح الحكاية. ويبدو الأسلوب مولودًا من رحم التجربة الشعورية ذاتها، الأمر الذي منح النص صدقه الفني وجماله الهادئ.

وقد نجح جمال سليمان في تحويل الرواية إلى مساحة للتأمل في الحب والخسارة والمنفى والذاكرة، مع حفاظ النص على توهجه السردي وانسيابه الفني. لذلك تبدو ((مرال... أكثر من وداع)) عملًا قابلًا للبقاء في ذاكرة القارئ، لما تتركه من أثر وجداني طويل وعميق.

وتؤكد هذه الرواية أنّ جمال سليمان يمتلك مشروعًا سرديًّا واعدًا، قائمًا على لغةٍ ناضجة، وحساسية إنسانية عالية، وقدرة واضحة على تطويع العبارة لتصبح مرآةً للوجع الإنساني. فالأدب في تجليات هذه الرواية يتحول إلى مساحةٍ جمالية قادرة على إعادة تشكيل الحزن في صورةٍ فنية آسرة.

وفي المحصلة، تبدو ((مرال... أكثر من وداع)) نصًّا يحتاج إلى قارئ يُصغي إليه

ببطء، لأنّ جماله يتسرّب من بين السطور بهدوءٍ عميق، عبر لغةٍ تعرف كيف تمنح الألم ملامحه الإنسانية الأكثر صفاءً وتأثيرًا.

*** الكاتب والأكاديمي الدكتور**
وليد عويد حسين.

قامة أكاديمية تطل على المشهد الثقافي في كل مجالاته، وتجربة فكرية تتآلف فيها المعرفة مع جمال التعبير. نال شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة بغداد ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية، واتخذ من الدراسات الأدبية والنقدية والفكرية ميدانًا لجهده العلمي ومن القراءة العميقة سبيلًا إلى اكتشاف المعاني واستنطاق جماليات الخطاب.

ويحمل مشروعه الفكري عناية خاصة بالقضايا الدينية في ضوء القرآن الكريم والسيرة النبوية، من خلال قراءة تستلهم هدي الوحي وتستكشف أبعاد النص القرآني والنبوي في بناء الإنسان، وتهذيب الوعي وترسيخ منظومة القيم. وتمضي معالجاته الفكرية بروح تجمع بين أصالة المرجعية وعمق التأمل ورصانة المنهج، فتلامس الأسئلة المعاصرة برؤية واعية ولغة رفيعة، وأفق معرفي يفتح مسارات رحبة للحوار والتفكير.

* نعتذر للاستاذ حسين تأخر نشر مقالته

تقاسيم شعرية

قَصَائِدُ. . . مِنْ ذَاكَ اَلْمَكَانِ اَلْبَعِيدِ

ايفان علي عثمان

النراوجة ...

1
سنذهب لاصطياد ظل
في الصورة الكبيرة
على ظهر الغرفة
تقابلنا قبل يومين
والبارحة واليوم
هل نتقابل في الغد
2
حين تتفتح ازهار الصوت
المولع بالصقل
يتذكر كل وجه رآه
3
من تلك الحافة المخططة
يجيد نصب الفخاخ
شد القوس
رقصة التجديف
4
الدرب مثل الرمل المخزن
يخطف
غرفتي الورقية
5
ليكه
متى نلعب
لعبة الإبر
متى نشعل
عصي الفؤوس
6
رئتاه
كقصص الانتظار
بلا خوارزميات
7
وجوهنا
محاطة بطوق
بفروع سلم
بأجسام المسافة
8
قصائد ليكه
شقوق اشعاعية
مظلات ثقوب
أصوات بقع
9
توقظني
فراغات فم
رأسي
عربة طحالب

عينان تلمعان كالظل ... حبيبتي ليكه

ربما تشتعل شرارة
سباقي
في صندوق البريد
أجد ثقبا في رسالة فارغة
أحتفظ به
للنص المرفق مع صورة
قصير جدا
أصغر من الإنترنيت
هل أنت
رابط غير مفعل
فايروس
مورفين
كرة شاطئ
قبلة نصية
ما معنى
نصوص صغيرة
تمحو اطراف الكلمات
لماذا
نصكم بلا صوت
صباح الغد
ليل الغرفة
قصيدتكم
الخطوط الى آخر سطر
نسف خارج الورقة
في منتصف الخط

كريشنا ميهرا ...

بعد
تيه المخيال
مكعب تايبوجرافي متأرجح
على بعد شبر
من رقعة المنحى
تتسلل
اصباغ الشفايف
الى احابيل العرق
تجمع
كريشنا ميهرا
اوراق النداء
من
رعشة المخاتلة
صخب الهجرة الخلاسية
يتنقل بين
النبض المبكر
و تصريح الصحو المكرر

مانجا ...

لجوء في
قفلة زوبعة
هرس اللحظة الاحتلالية
في بوصلة
الورديات الظلية
يتبعه
تخريد نص الضعف
عبر
هزة السؤال
ومقصلة المسافة
وبواكير الـ مانجا
وتشيؤ التحلية
وغسل اللعنة
وتحميض الشروط
ووعود التخاذل
وطقس الوجوم
وشمعة الارتواء
وجموح الشوق

نارين فياس ...

بـ التأمل
التهام الجزء المطوق
بـ التلصص
تتلاشى المفاجأة
ورموزها المختلقة
بـ التفاصيل التقريبية
تتشكل لذة السطو
على مواعيد
الخطو الجوجيستوية
بـ الانتشاء المنبعث
من نظرة التجسيد
الى نارين فياس
يقرأ السارد
تحريات الشكوك التمثيلية

شاعر وكاتب

آراء

« تأملات شخصية في فكر الدكتور عبد الحسين شعبان »

نصير شمة

عندما أتعمق في أعمال الدكتور عبد الحسين شعبان، أجد نفسي مشدوداً إلى عوالم فكرية غنيّة ومعقدّة، مليئة بالتحدّيات والآمال، إذ إن د.شعبان ليس مجرد أكاديمي دارس أو باحث، بل مفكر يسعى بجدية إلى فهم وإصلاح العالم من حوله.

يبرز د.عبد الحسين شعبان واحداً من مفكري هذا العصر، خصوصاً أن عمله الفكري لم يكتفِ بالتنظير، بل سعى سعياً دؤوباً إلى التطبيق.

جملة أعماله ومسيرته المهنية سارا في خطين متوازيين، فالتنظير قد لا يجد أرضاً صلبة ليشيّد عليها بنيانه، أما مع د.شعبان فقد بنى الأرض وسار عليها ممهداً لآرائه الطريق، وفاتحاً الباب لمشاركة آخرين.
هي مسيرة متكاملة رسمها د.عبد الحسين شعبان، توافق ما بين كلام العقل ورؤية العين.

تعكس كتاباته روحاً نقديةً واستعداداً للوقوف في وجه التحدّيات الكبرى، مما يجعله شخصية ملهمة للعديدين في العالم العربي وخارجه. فكلما قرأت له، ازداد يقيني بأهمية الفكر النقدي وأهمية التسامح وحقوق الإنسان في بناء مجتمعات أكثر عدالة.

اعتمد أسلوب السهل الممتنع، والممتنع البسيط، من خلال طرحه الفكر القابل للعيش على أرض الواقع والقابل للتحقق والعيش، دارساً كل الظروف المحيطة ومفكراً في اللحظة التي تأخذ عالمنا إلى المستقبل.

نشأ الدكتور عبد الحسين شعبان في بيئة غنية بالسياسة والفكر، ما أتاح له منذ صغره أن يكون قريباً من الأحداث السياسية والاجتماعية التي شهدها العراق. ولد في النجف، تلك المدينة التي تُعتبر مركزاً دينياً وثقافياً مهماً، مما أثّر بشكل كبير على تكوينه الفكري والسياسي، حيث انخرط بالنشاط في صفوف الحزب الشيوعي العراقي. التحاقه بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة بغداد كان نقطة تحول حاسمة في توجهاته المهنية والثقافية.

انضمامه إلى الحزب الشيوعي في الستينيات لم يكن مجرد اختيار سياسي، بل كان تعبيراً عن التزامه العميق بالقضايا الاجتماعية والعدالة، ومع مرور الوقت، بدأت رؤيته تتطور، ليجد نفسه ناقداً لبعض جوانب الفكر اليساري، مما يعكس نضجه الفكري واستعداده لإعادة تقييم مواقفه.

شغل د.شعبان العديد من المناصب في منظمات حقوق الإنسان، مما يبرز التزامه العميق بالدفاع عن العدالة والمساواة وعن حق الفرد في العيش ضمن المجموعة وعن قيمة هذا المفرد في عالم يُهمش المفرد.
كعضو في اتحاد المحامين العرب ورئيس لمنظمة العدالة الدولية، ساهم بشكل فعال في تعزيز ثقافة حقوق الإنسان على المستوى الإقليمي والدولي.

التحليل الفكري للدكتور عبد الحسين شعبان يتسم بالعمق والجرأة. في كتابه «جدل الهويّات في العراق: الدولة والمواطنة»، يقدم تحليلاً مفصلاً لمسألة الهويّة في العراق، موضحاً كيف تسببت التعدديّة الطائفية والإثنية في تعقيد بناء الدولة العراقية. يجادل د.شعبان بأن الهويّة العراقية متشظية بين هويّات متنافسة، مما أدى إلى صراعات داخلية أضعفت من إمكانية بناء دولة موحدة تقوم على مبدأ المواطنة.

شعبان ليس فقط محللاً دقيقاً للوضع العراقي، بل يقدم رؤى واقعية لكيفية تجاوز هذه التحديات. يقترح نموذجاً للدولة المدنية التي تحتضن كل المكوّنات الاجتماعية على أساس المساواة والعدالة. من خلال تحليله العميق، يدعو شعبان إلى بناء مؤسسات قوية ومستقلة، قادرة على حماية حقوق الأفراد وتعزيز التعايش السلمي بين مختلف الطوائف والإثنيات. على سبيل المثال، يشير د.شعبان إلى أهمية التعليم كعامل أساسي في تشكيل الهويّة الوطنية وتعزيز قيم المواطنة، مؤكداً ضرورة إصلاح النظام التعليمي ليشمل تعليم القيم المدنية والمبادئ الديمقراطية، مما يساعد في بناء جيل جديد يعي أهمية التعايش السلمي.

في كتابه «في الحاجة إلى التسامح»، يتناول د.شعبان مفهوم التسامح كقيمة أساسية لبناء مجتمعات صحية ومستقرة، ويؤكد أن التسامح ليس مجرد فضيلة أخلاقية، بل هو ضرورة سياسية واجتماعية في ظل التعدديّة الثقافية والدينية، التي تميز المجتمعات العربية. ويطرح فكرة أن التسامح يجب أن يكون جزءاً من السياسات العامة والتعليمية، لتعزيز ثقافة الحوار والتعايش.

لا يكتفي د.شعبان بالتنظير حول التسامح، بل يقدم أمثلة عملية لتجسيد هذه القيمة في الواقع، على سبيل المثال، يقترح إدماج مبادئ التسامح في المناهج الدراسية وفي وسائل الإعلام، وتعزيز دور المجتمع المدني في نشر ثقافة التسامح.

يرى شعبان أن التسامح هو السبيل الوحيد للتغلب على الانقسامات الطائفية والإثنية، وبناء مجتمعات قائمة على الاحترام المتبادل والعدالة، مستعرضاً تجارب ناجحة لمجتمعات أخرى تمكنت من تجاوز خلافاتها من خلال تعزيز قيم التسامح والتعايش، ويستشهد بتجربة جنوب أفريقيا بعد نهاية نظام الفصل العنصري، حيث لعب التسامح دوراً محورياً في تحقيق المصالحة الوطنية وبناء مجتمع أكثر عدالة، ويحبّذ هذه التجربة كنموذج يمكن أن يحتذى به في المجتمعات العربية، التي تعاني من الصراعات الطائفية والإثنية.

يتميز الإنتاج الأدبي للدكتور عبد الحسين شعبان بتنوعه وعمقه. ففي كتابه «دين العقل وفقه الواقع»، يجمع بين العقلانية والتطبيق العملي، مؤكداً أن الفكر لا يمكن أن يكون

---

* موسيقار عراقي/ فنان اليونسكو للسلام

تتمة ص 36

فضاءات فكرية

العود الأبدي لنيتشه *

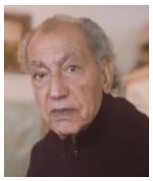

د.عدنان الظاهر

لتيسير الدخول في مبحث (العود الأبدي) للفيلسوف الألماني نيتشه أضع أكثر ما فيه أهميةً في فقرتين ثمَّ أناقشهما كلاً على حِدة :

1 ـ نهائية القوى الكونية
2 ـ لا نهائية الزمان. الزمان دائرة مغلقة. دورات الكون

1 ـ من حق قارئ نيتشه أنْ يتساءل وبإلحاح: ما كان قصد نيتشه بالقوى الكونية وما طبيعتها وأين مكانها. هل هي قوى (Hegel) هيكل المثالية الروحية العليا أو قوى ماركس المادية أم قوى أخرى لا علاقة لها بقوى هذا ولا بقوى ذاك ؟ المعروف لحد اليوم أنْ قوانين نيوتن في الحركة والتجاذب والتنافرهي أساس ثبات توازن هذا الكون الجبّار الذي لا بداية له ولا نهاية فإذا اختلّت هذه القوانين لسبب ما نجهله سيختل الكون بكل ما فيه وسيصطدم الكل بالكل وتنشأ إشعاعات وحرارة هائلة جداً ينصهر فيها الكل بالكل وتتحول إلى غازات وأبخرة وتنشأ عناصر ومركبات جديدة غيرتلك التي عرفها الإنسان. قد يكون سبب إختلال قوانين نيوتن هو الفرق الكبير بين سرعة تمدد الفضاء الهائل وسرعة تمدد الأكوان الصلبة السابحة في هذا الفضاء فتفقد هذه القوانين قوتها ويحصل الإضطراب العظيم وانصهار الكون وتحوله إلى غازات وأبخرة تدور في الفضاء بقوة زخم دورانها الأول حيث الكل يدور حول نفسه وحول غيره ويتطاير إلى كتل غازية كبيرة وصغيرة تبرد بمرور الزمن [ملايين أو ربما مليارات السنين] متحولةً إلى كواكب ونجوم وشموس وأقمار وثقوب سود أو غير سود أو أنْ يتخذ الكون أشكالاً أخرى جديدة وأوضاعاً جديدة تنجم عنها قوانين فيزيائية جديدة تنظم علاقاتها ببعضها وسرعات دورانها حول نفسها وحول غيرها وقد ينشأ نوع من الحياة العضوية البدائية بعد مليارات السنين على بعض هذه التشكيلات الجديدة. هذا التصور ممكن فهل حصل سابقاً وكم مرةً حصل ومتى يحصل مرة أخرى ؟

هكذا أفهم دورات الكون وقوى الكون المرتبطة بمادة الكون الأبدية فقوى نيتشة الكونية المتناهية لا وجود لها في الكون. تكلم نيتشه عن العود الأبدي لكأنه تكلم عن عودة الإنسان الأبدية كما تكلمت عنها ديانات وشعوب أخرى تحت إسم تناسخ الأرواح كالمجوسية التي تأثر نيتشه بنبيها زرادشت وكتب فيه كتاباً ضخماً معروفاً بعنوان { هكذا تكلم زرادشت }. حسب نظرية العود الأبدي هذه يعود الإنسان نفسه مرات ومرات يعود كما كان قبل دورة الكون وعليه فلا مجال للحزن واليأس. مسألة مضحكة في أنَّ نيتشه يخلط العضوي (الإنسان) بالمادي (باقي الكون) جاعلاً الكل يعود بشكل ثابت إلى بالضبط ما كان عليهِ قبل الدورة الكونية فمن يقبل هذا الكلام ؟ هل أعود أنا بعد مليارات السنين إلى ما أنا كائنٌ فيه اليوم ؟ إنه تناسخ الأرواح المجوسي بشكل مشوّه ومضطرب والفوق خيالي. إنه نوع من جنّة عدن الخالدة في الإسلام. إنها عُشبة كلكامش حيث الحياة الخالدة لا يطالها موت. عندما قلتُ في مقالة سابقة عن نيتشه وموقفه من الإشتراكية إنه سطحي وسخيف إحتجَّ صديق عزيز عاشق لهذا الفيلسوف فلمزني بخفّة ورشاقة وساق رأيَ كاتبٍ آخرَ شديد الإعجاب بهذا الرجل. لا تقارن ما أقول يا صديق بما قال غيري فلكلٍ رأيه وقناعاته واجتهاداته الخاصة وثقافته وعلمه. هكذا سقطت مقولة نيتشه حول (تناهي قوى الكون) وعودة الإنسان مراتٍ ومرات إلى ما كان عليه قبل دورة الكون.

2 ـ لا نهائية الزمان . الزمان دائرة مُغلقة.

دورات الكون الشرط الثاني لتحقق مقولة أو نظرية العود الأبدي هو (أنْ يكون الزمان غيرَمتناهٍ، أي أنْ تظلَّ هذه القوة تمارس فعلها بلا إنقطاع. فإذا توافرت اللانهاية للزمان، فلا بُدَّ أنْ تُستنفد الإمكانيات التي تُتاح لهذه القوة المحدودة، وبهذا تأتي حالة تماثل تماماً حالة أخرى تكررت من قبلُ، وعندئذٍ تتلو عنها كل الحوادث كما وقعت من قبلُ تماماً ، ويكون الكونُ قد أتمَّ دورةً من دوراته، وتظل هذه الدورات تتكرر إلى الأبد خلال الزمان اللامتناهي، كلٌّ منها مماثلة للأخرى في كل صغيرةٍ وكبيرة / الصفحة 141 .. المصدر).

لامني صديقي العزيز عاشق نيتشه عـندمـا

قلت عنه { نيتشه } إنه رجلُ جامد مع الثبات وضد التحولات في الحياة وها هو { نيتشه } يُثبّت صدق ما قد قلتُ فيه .. كيف ؟ من فمه أُدينه فهو الذي قال [... ويكونُ الكونُ قد أتمَّ دورةً من دوراته وتظل هذه الدورات تتكرر إلى الأبد خلال الزمان اللامتناهي، كلٌّ منها مماثلة للأخرى في كل صغيرة وكبيرة]. ما عمر كل دورة من هذه الدورات وهل سبق وأنْ دار هذا الكون وكم مرةً قد دار ومتى يدور في المرة القادمة ؟ ثمَّ .. كيف يدور الكون دورة كاملة ويعود بالتمام إلى ما كان عليه قبل هذه الدورة : كل دورة مماثلة للأخرى في كل صغيرة وكبيرة. وقال نيتشه في كتابه " هكذا تكلم زرادشت / حاشية الصفحة 140 .. المصدر " [[سأعودُ مع هذه الشمس وهذه الأرض وهذا النسر وهذا الثعبان ـ لا إلى حياة جديدة، أو حياة أفضل، أو حياة تقرب من هذه، سأعودُ أبداً إلى نفس هذه الحياة في كل صغيرة وكبيرة منها، لكي أعودَ مرة أخرى إلى العود الأبدي لكل الأشياء]]. كيف نفهم هذا الكلام وهو واضح كل الوضوح ؟ يدور الكون الذي لا حدودَ له دورة كاملة والفيلسوف نيتشه يعود إلى نفس هذه الحياة في كل صغيرة وكبيرة منها ! ما الذي يجعل الكون لا يتغير وهو يدور دورة كاملة لا أحد يعرف كم تستغرق من الزمن كأنه ثور يُدير ناعوراً معصوب العينين يكرر نفس الدورات على حساب قوته بالطبع فكل دورة تستهلك طاقة يفقدها هذا الثور المسكين لينفذَ أمراً لا مصلحة له فيه كإدارة مطحنة أو رفع الماء من النهر. الكون الذي يراه نيتشه هو غير الكون الحقيقي الدائم الحركة والتغيّر عالم لا يفهم قوانينه ولا غرابة فإنه وعلى حد علمي لم يذكر العالم نيوتن ولم يذكر قوانينه تماماً كما تجاهل ماركس ولم يناقش فلسفته ولم يذكر اسمه في كل ما كتب ! ما هكذا تورد الإبل يا هر نيتشه !

تتمة ص 36

العود الأبدي لنتشه

الزمان ! هل الزمان لا نهائي وهل يتحرك في دائرة مُغلقة ؟

موضوعة الزمان مسألة جدلية لم تُحل بعد وسوف لن تُحل كما أعتقد. وجهة نظري قد تبدو متطرفة وغريبة وغير مألوفة مفادها أنْ لا وجودَ لشئ إسمه زمان لا كان ولن يكون. الكون الهائل هذا موجود لا بداية له ولا نهاية وإذا كان موجوداً أبداً فما حاجته لمعيار يؤرّخ بداية لا وجود لها ؟ أكيد كان الكون متخذاً تشكيلات أخرى ليست بالضرورة تشبه مكوناته الحالية من مجرات ونجوم وكواكب وإشعاعات وثقوب وباقي المكونات وأكيد سيتغير تحت ظروف قاهرة وسيتشكل على أسس جديدة ووفق قوانين جديدة تتحكم بشروط ثباته وتوازنه. فهل التغيّرات الكونية الهائلة بحاجة إلى ما يقيس ويضبط تأريخ حدوثها ونهايته ؟ وإذا افترضنا وجود كائنات حية أخرى على سطح أحد مكونات هذا الكون أكثر أو أقل تطوراً من الإنسان الأرضي فهل عندها مقاييس زمنية وهل هي نفسها مقاييس إنسان الأرض الراهنة ؟ تصوري لهذا الأمر كما يلي : إذا افترضتُ وجود زمن فإنه عنصر محايد صنعه إنسان عبقري ليضبط به أمور دنياه وإنه يتحرك على خط مستقيم لا يتأثر بدوران الكون ودوران مكوناته حول بعضها أي أنه ليس دائرياً كما إدعى نيتشه ومحال أنْ يكون دائرة مُغلقة فالكون فضاء مفتوح لا إنغلاقَ فيه أبداً. بهذا الكلام تنهار إحدى ركيزتي نظرية نيتشه حول (العود الأبدي) المبنية على أساس لا نهائية الزمن ! لا نهائية زمن لا وجودَ له أصلاً.

أختم مقالي هذا بكلمة حق أقولها في نيتشة إنه إذا يستحق الذكر إنما يستحقه في قوله {فائقلُ قيدٍ للنفس هو الزمان الذي انقضى، أي الماضي. الصفحة 144 المصدر}

* نيتشه بقلم الدكتور فؤاد زكريا. دار المعارف بمصر. الطبعة الثانية بدون تأريخ. فكرة العود الأبدي الصفحات 138 – 147.

تأملات شخصية في فكر د. عبد الحسين شعبان

مجرد نظريات معزولة عن الواقع، وربما تكون هذه النقطة كما أسلفت في بداية المقالة زبدة فكره ولْنقُلْ تطبيقه لفكر غرامشي في نظريته حول المثقف العضوي، الذي يوائم بين المثقف ومجتمعه. يعرض د.شعبان في هذا الكتاب رؤيته كيفية تطبيق المبادئ العقلانية في الحياة اليومية، وفي السياسات العامة، مما يعكس فهمه العميق أهمية التوازن بين الفكر والعمل.

أما في كتاب «المثقف في وعيه الشقي»، فيقدم شعبان تحليلاً دقيقاً لدور المثقف في المجتمع، والتحديّات التي يواجهها. يرى شعبان أن المثقف يجب أن يكون ناقداً وباحثاً عن الحقيقة، لكنه أيضاً يجب أن يكون ملتزماً بقضايا مجتمعه، ويسعى إلى التغيير الإيجابي. يعكس هذا الكتاب فهم شعبان العميق دور المثقف كقوة دافعة نحو التقدم الاجتماعي والسياسي.

وفي كتابه «الإسلام وحقوق الإنسان»، يقدم شعبان دراسة شاملة للعلاقة بين الإسلام وحقوق الإنسان، محاولاً تفكيك المفاهيم الخاطئة والتصورات المغلوطة التي تحيط بهذه العلاقة. يستعرض النصوص الدينية والنصوص القانونية، محاولاً تقديم قراءة متوازنة تعترف بأهمية حقوق الإنسان في السياق الإسلامي. هذا الكتاب يعتبر مساهمة مهمة في الحوار الدائر حول حقوق الإنسان في العالم الإسلامي، ويبرز رؤية د.شعبان التي تسعى إلى التوفيق بين الشرائع الدينية والقيم الحديثة.

لا يمكن إغفال تأثير الدكتور عبد الحسين شعبان الكبير في نشر ثقافة حقوق الإنسان والتسامح في العالم العربي. من خلال دوره في العديد من المنظمات الحقوقية ومساهماته الأكاديمية، حيث أسهم بشكل فعّال في تعزيز الوعي بأهمية هذه القيم. مواقفه السياسية تعكس التزامه العميق بتغيير الواقع نحو الأفضل، مما يجعله ناشطاً يسعى لتحقيق العدالة الاجتماعية وليس مفكراً فقط.

لقد ساهمت كتاباته ومحاضراته في إلهام جيل جديد من الناشطين والمفكرين، الذين يسعون لتحقيق التغيير في مجتمعاتهم. ومن خلال نشاطه الأكاديمي والثقافي، ساعد في خلق فضاءات للنقاش والحوار، مما يعزّز من فهم أفضل لقضايا حقوق الإنسان والتسامح. لا يمكن إغفال تأثيره في التشجيع على النقد الذاتي والتفكير النقدي، وهو أمر نادر في العديد من المجتمعات العربية.

أعماله أثّرت بشكل مباشر على السياسات العامة في بعض الدول العربية، فعلى سبيل المثال، تم تبنّي بعض مقترحاته حول إصلاح النظام التعليمي في دول مثل تونس والمغرب، حيث تم إدماج مبادئ التسامح وحقوق الإنسان في المناهج الدراسية، كما تم تطبيق بعض مناهجه في تعزيز دور المجتمع المدني في دول مثل لبنان والأردن، مما ساعد في خلق حوار وطني أكثر شمولية.

تأثير آرائه على المستقبل

آراء الدكتور عبد الحسين شعبان حول التسامح وحقوق الإنسان ليست مجرد نظريات، بل هي رؤى عملية يمكن أن تسهم في تشكيل مستقبل أفضل للمجتمعات العربية، وفي ظل التحديات الكبيرة التي تواجهها هذه المجتمعات، مثل التطرف الديني والطائفي، يمكن لأفكار د.شعبان أن تكون بمثابة بوصلة توجه الخطط والسياسات المستقبلية نحو تعزيز السلام والعدالة.

أحد أبرز تأثيرات آرائه على المستقبل، الدعوة إلى تعزيز دور المجتمع المدني في بناء الديمقراطية، حيث يرى أن المجتمع المدني القوي والمستقل هو ضمانة أساسية لتحقيق التوازن بين السلطة والمجتمع، وبالتالي تعزيز الديمقراطية، ويقترح إنشاء مؤسسات مجتمع مدني قادرة على مراقبة الأداء الحكومي والمشاركة في صنع القرار، مما يعزز من شفافية وفعالية الحكم.

بالإضافة إلى ذلك، يؤكد د.شعبان أهمية الحوار بين الثقافات كوسيلة لتعزيز التفاهم المتبادل وتجنّب الصراعات، وفي عالم يتّسم بالتعدّدية الثقافية والدينية، يرى أن الحوار البنّاء يمكن أن يسهم في بناء جسور الثقة والتعاون بين الشعوب، مقترحاً تنظيم مؤتمرات ومنتديات دولية تجمع بين ممثلين من مختلف الثقافات والأديان، بهدف تبادل الأفكار وتعزيز التفاهم المشترك.

من الناحية التعليمية، يرى د.شعبان أن المستقبل يتطلب نظاماً تعليمياً يعزز التفكير النقدي والحوار الفكري بدلاً من الانغلاق والتعصب، مشدداً على ضرورة تكامل التعليم الأكاديمي مع تعليم القيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، وذلك لبناء جيل مستعد لمواجهة تحدّيات المستقبل بإيجابية وتفكير مستقل.

في الختام، يظهر فكر الدكتور عبد الحسين شعبان كمصدر إلهام وتأثير حقيقي على المجتمعات العربية والعالمية على حد سواء، إن مساهماته في مجالات حقوق الإنسان، التسامح، والتعايش السلمي تمثل نقطة تحول في الفكر العربي الحديث، وتدعو إلى تفعيل القيم الإنسانية والمواطنية لبناء مستقبل أكثر عدالة وسلاماً للأجيال القادمة.

***

ايقونات

باقر الموسوي.. لمْ أَنَلْ نَصِيبِي مِنِ اسْمِي..
وقراءة أدبية بقلم:د.عادل جوده

باقر طه الموسوي

اسْمِي
كَانَ يَقِفُ خَلْفِي
كُلَّمَا نَادَانِي أَحَدٌ
نَظَرَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ مِنَ الرِّيبَةِ
اسْمِي لَيْسَ لِي، يَتَدَاوَلُهُ
الْعَابِرُونَ
أَسْتَعِيرُهُ كُلَّ صَبَاحٍ
وَأُعِيدُهُ مَسَاءً مَثْقُوبَ الْحَوَافِ
عَلَى الْبَاءِ
ذُبَابَةٌ،
وَعَلَى الْأَلِفِ
ذُبَابَةٌ أُخْرَى،
وَعَلَى الْقَافِ
يَجْتَمِعُ النَّامُوسُ،
يَمْتَصُّ مَا تَبَقَّى
مِنَ الْقَافِ وَالرَّاءِ
فِي اللَّيْلِ أَسْمَعُ اسْمِي يَتَآكَلُ
حَرْفٌ يَسْقُطُ
حَرْفٌ يَتَلَعْثَمُ
وَحَرْفٌ
يَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ آمِنٍ فِي فَمِي
وَحَرْفٌ يَبْقَى سَاهِرًا
يَحْرُسُ خَوْفِي
كَبِرْتُ
وَكَبِرَ اسْمِي قَبْلِي
صَارَ مِعْطَفًا وَاسِعًا
أَتَعَثَّرُ بِأَكْمَامِهِ
اسْمِي لَيْسَ جَرَسًا
كَأَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
مَوْعِدًا مُؤَجَّلًا
مُنْذُ الْوِلَادَةِ
لَمْ أَنَلْ نَصِيبِي مِنِ اسْمِي
رُبَّمَا لِأَنَّ اسْمِي
هُوَ الَّذِي لَمْ يَنَلْ نَصِيبَهُ مِنِّي
نَنْظُرُ إِلَى بَعْضِنَا
فِي مِرْآةٍ مُعْتِمَةٍ،
وَلَا يَتَقَدَّمُ أَحَدُنَا
نَحْوَ الْآخَرِ.
وَيَبْقَى الِاسْمُ
وَاقِفًا بَيْنَنَا كَغَرِيبٍ
يَنْتَظِرُ مَنْ يُنَادِيهِ

جماليات هذا النص ومضامينه

د.عادل جوده/ العراق

هذا النص ليس مجرد قصيدة، بل هو مرثية وجودية للذات وعلاقتها بالهوية. الشاعر باقر طه الموسوي يأخذنا في هذه القصيدة إلى منطقة معتمة وعميقة من الاغتراب، حيث يصبح "الاسم" – الذي هو في الأصل جوهر الهوية وأقرب ما يملكه الإنسان – عبئاً، غريباً، وكائناً منفصلاً يراقب صاحبه بريبة.

1- جدلية (الذات والاسم): الاغتراب عن الهوية:
يبدأ الشاعر بصدمة وجودية: "اسمي كان يقف خلفي."
الاسم هنا ليس ملتصقاً بالجسد أو الروح، بل هو مراقب خارجي ينظر إلى صاحبه بـ "شيء من الريبة."
هناك انفصال حاد بين الشاعر واسمه؛ فالاسم تحول إلى ملكية عامة يتداوله "العابرون"، بينما صاحبه الحقيقي يستعيره صباحاً ويعيده مساءً. هذه الصورة تعكس ضياع الخصوصية ، وتحول الهوية إلى "أداة استخدام يومية" تُستهلك في مجتمع يفرغ الأشياء من قيمتها.

2 ـ التآكل والتفكيك السريالي للحروف
ينتقل الشاعر من الفكرة المجردة إلى تجسيد حسي ومؤلم للاسم عبر تفكيك حروفه (الباء، الألف، القاف، الراء). وهنا يظهر ذكاء المبدع في استخدام الرمز:
الذباب والناموس على الحروف: ليست مجرد حشرات، بل هي رمز لعوامل التعرية، والوسط المحيط الذي ينهش هوية الإنسان، ويمتص حيويته (يمتص ما تبقى من القاف والراء.)
تآكل الاسم في الليل :
الليل هو مسرح المواجهة مع الذات. الحروف هنا تتحول إلى كائنات حية خائفة: حرف يسقط، وحرف يتلعثم، وحرف يبحث عن أمان في الفم، وحرف يسهر ليحرس الخوف. هذه الصورة السينمائية المتقنة تختزل حالة "القلق الوجودي" والاضطراب النفسي للشاعر.

3 ـ ثوب أوسع من الجسد (عدم التكيف("كبرتُ .. وكبر اسمي قبلي، صار معطفاً واسعاً أتعثر بأكمامه"

هذه الصورة بلاغية بامتياز. الاسم (بما يحمله من إرث، أو توقعات مجتمعية، أو حمولة ثقافية وعائلية) أصبح أكبر من قدرة الشاعر على تحمله.

إنه "معطف واسع" يعيق حركته ويجعله يتعثر، بدلاً من أن يدفئه أو يمثله. الاسم هنا عبء وثقل وليس ميزة.

4 ـ قمة المفارقة: مَن ظلم مَن؟
تصل القصيدة إلى ذروتها الفلسفية في المقطع الأخير:
"لم أنل نصيبي من اسمي
ربما لأن اسمي.. هو الذي لم ينل نصيبه مني"
هذا التناوب في الأدوار يعكس عمق المأساة. ليس الشاعر وحده هو المغترب، بل حتى الاسم يعيش اغتراباً لأنه أُطلق على شخص لم يستطع (أو لم يرغب في) أن يملأ هذا الاسم بالحضور. هناك اعتراف مبطن بالانكسار والعجز عن تلبية متطلبات الحياة أو الهوية الممنوحة.

٥ ـالمرآة المعتمة والنهاية المعلقة
تنتهي القصيدة بمشهد "سينمائي صامت": ذاتان (الشاعر واسمه) يقفان أمام مرآة معتمة، لا أحد يتقدم نحو الآخر، والاسم يبقى واقفاً "كغريب ينتظر من يناديه."
المرآة المعتمة هنا هي رمز لعدم الوضوح، واستحالة التصالح بين الداخل (الروح) والخارج (الاسم/الهوية الاجتماعية).

الخلاصة البنائية والأسلوبية:
اللغة :
انسيابية، بسيطة في مفرداتها لكنها معقدة وعميقة جداً في مجازاتها وتراكيبها.
الإيقاع :
هادئ وحزين، يتماشى مع نبرة البوح والاعتراف الفلسفي.
التشخيص:(Personification)
نجح الشاعر بنسبة عالية في "أنسنة الحروف والاسم"، فجعل للاسم عيوناً ينظر بها، وللحروف أقداماً تسقط وألسنة تتلعثم، مما أضفى حركية مذهلة على النص.

باقر طه الموسوي في هذا النص لم يكتب شعراً عابراً، بل حفر بأصابعه في جدار الهوية الإنسانية المقيدة، مقدماً نصاً حداثياً يلامس أزمة الإنسان المعاصر في البحث عن ذاته الحقيقية بعيداً عن القوالب والمسميات الجاهزة.

سينما

السينما الاخلاقية:
» فيلم العصر الحديث « لشارلي تشابلن

(1)

د. إشبيليا الجبوري

ت: من اليابانية إشبيليا الجبوري

بعد تسعين عامًا من عرض فيلم "العصر الحديث"(1936)()، وهو فيلمٌ محوريٌّ للممثل والمخرج الكوميدي الإنجليزي تشارلز تشابلن (1889-1977)() يتناول قضايا الجوع والفقر واستغلال الإنسان والظلم، وهي قضايا لا تزال، للأسف، حاضرةً بقوةٍ في يومنا هذا.

لنتخيل للحظة، وإن كان ذلك صعبًا، حقبةً تاريخيةً يرزح فيها العالم تحت وطأة أزمةٍ اقتصاديةٍ حادة، ناجمةٍ في معظمها عن جشع ومضارباتٍ جامحةٍ من قِبل أصحاب النفوذ. يعاني جزءٌ كبيرٌ من سكان الكوكب من البطالة والجوع، ويبدو الحصول على سكنٍ لائق، أو حتى مجرد السكن، ترفًا. عالمٌ تُهمّش فيه التطورات التكنولوجية، بدلًا من أن تجعل المجتمع أكثر إنسانية، أصحابَ المهارات العالية وتُفضّل من يفتقرون إلى المعرفة المتخصصة، ليصبحوا مجرد أدواتٍ يسهل استبدالها. في الوقت نفسه، تُستبدل هذه التكنولوجيا حتى هؤلاء العمال ذوي المهارات المتدنية، فبينما كان يُحتاج بالأمس إلى خمسين عاملًا، لا يُحتاج اليوم إلا إلى عشرين.

أدرك أنه بالنسبة لنا، نحن الذين نعيش في النصف الأول من القرن الحادي والعشرين "الحديث"، قد لا يكون من السهل تخيّل مثل هذا الواقع. لكن دعونا نبذل الجهد مع ذلك، فهو ضروري لفهم ما رآه تشارلي تشابلن خلال رحلته الطويلة والمريحة حول العالم عام 1931()، عقب عرض فيلمه "أضواء المدينة" (1931)(). كان ذلك في زمن الكساد الكبير، وكان العالم غارقًا في التداعيات الوخيمة للأزمة الاقتصادية عام 1929، التي امتدت آثارها عالميًا.

وُلد تشابلن في لندن عام 1889()، وعانى من فقر مدقع في طفولته، وهو ما ترك أثرًا عميقاً في نفسه طوال حياته، وغرس فيه وعيًا سياسيًا واجتماعيًا واضحًا. منذ بداية مسيرته الفنية، تناولت بعض أفلامه الظلم الاجتماعي من خلال الكوميديا (الممزوجة أحيانًا بالسخرية). ومن أبرز الأمثلة على ذلك فيلم "المهاجر" (1917)()، حيث جسّد فيه شخصية المهاجر الأوروبي البائس الباحث عن الرخاء الأمريكي الموعود. في مشهدٍ خالد، بينما يحدق المهاجرون الأوروبيون بأملٍ في تمثال الحرية البعيد، يقوم مسؤولو الجمارك الأمريكية بتقييدهم بوحشية بالحبال كما لو كانوا ماشية. في فيلم "الكتفين" (1918)،() الذي عُرض خلال الحرب العالمية الأولى، وبعيدًا عن النصر النهائي البطولي على الألمان (الذي اتضح أنه مجرد حلم)، يُظهر الفيلم، دون أي تجميل، بؤس الحياة في الخنادق للجندي العادي: القذارة، والرطوبة، والحشرات، والخوف الدائم من الموت. في فيلم "الطفل" الشهير (1921)()، يُكشف التباين الصارخ بين الأغنياء والفقراء الذين يعيشون في المدينة نفسها بواقعيةٍ صارخة. كانت شخصية تشابلن، منذ البداية (باستثناءات قليلة)، منبوذًا، بائسًا، متشردًا. وحتى عندما وجد عملًا، ظل ينتمي إلى أكثر طبقات المجتمع حرمانًا.

1()، عندما انطلق في رحلته المذكورة، كان تشابلن بالفعل من أشهر الشخصيات في العالم، وكانت صورته، بشاربه الصغير وعصاه وقبعته، معروفة في كل مكان وصلت إليه شاشة السينما. كان تشابلن مشهورًا ومليونيرًا، لكنه لم ينسَ الفقر الذي عانى منه في طفولته، ولا قسوة دار الأيتام، ولا الجوع.

بعد عودته إلى الولايات المتحدة، علم بقصص مؤثرة لعدد من عمال مصانع التجميع في ديترويت الذين عانوا من انهيارات عصبية بعد سنوات من الاستغلال لساعات طويلة في أعمال مرهقة ومتكررة. عندها بدأ تشابلن يفكر في إمكانية تحويل متشرده إلى عامل مصنع.

الآن عام 1934(). منذ نجاح فيلم "مغني الجاز" عام 1927()، أصبح الفيلم الناطق واقعًا لا رجعة فيه، وانتهى عصر السينما الصامتة منذ زمن. رغم أن الجمهور العام أشاد بالابتكار التقني واحتفى بسماع أصوات أبطاله السينمائيين على الشاشة الكبيرة، إلا أن ظهور الصوت لم يُقابل بالحماس نفسه من الجميع. فبحلول نهاية عشرينيات القرن الماضي، بلغ الفيلم الصامت ذروته الفنية. أتقن مخرجون موهوبون للغاية وسيلة بصرية بالكامل، خالقين مفهومًا فنيًا فريدًا لا مثيل له. كان من الممكن وضع كاميرات صامتة خفيفة الوزن في أماكن غير متوقعة، وصُوّر جزء كبير من الفيلم الصامت في الشارع، في الهواء الطلق، وفي بيئات طبيعية غير متوقعة. أما كاميرات الصوت الأولى، فكانت ثقيلة للغاية، وكانت الميكروفونات حساسة جدًا لأي ضوضاء، مما أجبر السينما على العودة إلى نقطة الصفر، واضطرت إلى إعادة إنتاج لقطات ثابتة ومسرحية في استوديوهات مغلقة مصممة خصيصًا لهذا الغرض.

لم يكن هذا كل شيء. ففي عالم الكوميديا، أتاح غياب الحوار عالمًا من الخيال والسريالية بدا وكأنه ينهار بمجرد أن تبدأ الشخصيات بالكلام. ومجرد الكلام كان يعني أن عليهم التحدث بلغة محددة، غير مفهومة لجزء كبير من البشرية. أدى ذلك إلى كسر عالمية فن التمثيل الإيمائي التي كانت سائدة حتى ذلك الحين.

كان تشابلن، الممثل وكاتب السيناريو والمنتج والمخرج لأفلامه الخاصة، من بين كبار

تتمة ص التالية

صناع السينما، الأكثر معارضةً لإنتاج الأفلام الناطقة. في مقابلة أجرتها معه الصحفية الأمريكية غلاديس هول (1891-1977)() لمجلة (مجلة الصور المتحركة) في مايو 1929()، صرّح تشابلن قائلاً: "الأفلام الناطقة تُدمر أقدم فنون العالم: فن التمثيل الإيمائي. إنها تُدمر جمال الصمت العظيم. إنها تُفقد الشاشة جاذبيتها، وتُزيل سحر النجومية، وتُقوّض ظاهرة المعجبين، وتُفقد السينما شعبيتها الهائلة: سحر الجمال. الجمال هو ما يهم في الأفلام، لا شيء غيره()".

لم يكن تشابلن وحده في هذا القلق. كان لدى مخرجين مرموقين آخرين، مثل المخرج والكاتب السينمائي السوفيتي سيرجي آيزنشتاين (1898-1948)()، والمخرج والكاتب السينمائي النمساوي فريتز لانغ (1890-1976)()، والمخرج والكاتب الفرنسي رينيه كلير (1898-1981)()، وحتى المخرج الإنجليزي ألفريد هيتشكوك (1899-1980)()، تحفظات جدية، على الأقل في البداية، بشأن ظهور الأفلام الناطقة. لكن تشابلن كان لديه هاجس شخصي للغاية: فقد اعتقد أنه بمنح شخصيته صوتًا، لن تفقد جاذبيتها العالمية فحسب، بل ستموت كشخصية. كما ذكر في سيرته الذاتية(): "واجهتُ معضلةً كبيرة: هل أُخرج فيلمًا صامتًا آخر؟ كنتُ أعلم أنني سأُخاطر كثيرًا إن فعلت. لقد تخلّت هوليوود بأكملها عن الأفلام الصامتة، وكنتُ الوحيد المُتمسك بها. كنتُ محظوظًا حتى ذلك الحين، لكنّ الشعور بأنّ فنّ البانتوميم يتلاشى تدريجيًا كان مُرعبًا. إضافةً إلى ذلك، لم يكن من السهل ابتكار قصة صامتة لساعة وأربعين دقيقة، وتحويل الفكاهة إلى حركة، وخلق مواقف كوميدية بصرية. مشكلة أخرى كانت أنّه إذا أخرجتُ فيلمًا ناطقًا، مهما بلغت جودته، فلن يتفوق أبدًا على فنّ البانتوميم. فكّرتُ في أصوات مُحتملة للمتشرد؛ هل يتحدث بكلمات أحادية المقطع أم يتمتم فقط. لكن بدا كلّ ذلك بلا جدوى. إذا تكلمت شخصيتي، فلن أتميز عن أيّ ممثل كوميدي آخر. كانت هذه هي المشاكل الصعبة التي واجهتني)".

في عام 1928()، بينما كانت استوديوهات هوليوود تتنافس بحماسٍ شديدٍ على حشر أكبر قدرٍ من الحوار والأغاني في أفلامها، أصدر تشابلن فيلم "السيرك" (1928)()، وهو فيلمٌ صامتٌ تمامًا. وفي عام 1931()، حين بدا أن السينما الصامتة قد ولّت، ولم يكن يُنتج سوى عددٍ قليلٍ من الأفلام الصامتة في مناطق نائية من آسيا أو الاتحاد السوفيتي (حيث لم تكن الابتكارات التقنية قد طُبّقت بالكامل بعد)، أصرّ تشابلن بإصرارٍ على إصدار فيلم "أضواء المدينة"، وهو فيلمٌ صامتٌ تمامًا أيضًا، باستثناء موسيقاه التصويرية وبعض المؤثرات الصوتية المتفرقة.

لكن مع مرور السنين، ووفقًا لتشابلن نفسه، كان يلوح في الأفق خطرٌ يتمثل في أن الجمهور، مهما كان فيلمه جيدًا، سينفر منه، معتبرًا أسلوبه قديمًا. كان كل هذا يدور في رأسه وهو يفكر في إنتاج فيلم صامت جديد في عام 1935()، عندما لم يكن أحد على هذا الكوكب يصور أفلامًا بدون حوار منطوق، والذي من المفارقات أنه سينتهي به الأمر بعنوان "العصر الحديث" (1936).()

من المفارقات، أنه بينما استخدم تشابلن تقنيات من عصر آخر لسرد قصته، فإن الفيلم يُعد نقدًا لاذعًا للميكنة، وللحداثة لذاتها، ولاضطهاد واستغلال الناس من قِبل بني جنسهم. في الفيلم، يعمل المتشرد في مصنع تجميع يشبه مصانع هنري فورد للسيارات (في الواقع، كان الممثل الذي اختاره تشابلن لتجسيد دور صاحب المصنع يشبه فورد بشكل لافت)(). يُجبر البطل على العمل الرتيب والممل، فيُصاب بانهيار عصبي ويُنقل إلى المستشفى. عند خروجه، يكون الكساد الكبير عام 1929 قد أدى إلى إغلاق المصنع()، وتفشي البطالة، وتصاعد التوترات. في مشهد كلاسيكي، يلتقط تشارلي علمًا أحمر سقط من شاحنة ويبدأ في التلويح به لتحذير السائقين، لكن تظهر خلفه مظاهرة للعاطلين عن العمل. وهكذا، يتحول علم الخطر الأحمر، من خلال سحر الرمزية، إلى علم شيوعي، وتُلقي الشرطة القبض على تشارلي. ستكون هذه أولى فترات سجن الشخصية. في سيارة شرطة، يلتقي بفتاة

يتيمة صغيرة (تؤدي دورها الممثلة الأمريكية والشخصية الاجتماعية بوليت غودارد (1910-1990)()، الزوجة الثالثة لتشابلن ()، وتنشأ بينهما علاقة أقرب إلى الصداقة منها إلى الحب. بعد عدة محاولات فاشلة لدخول سوق العمل، وتعرضهما للاضطهاد الظالم بموجب قانون يستهدف أضعف فئات المجتمع، يهربان متشابكي الأيدي، وتتلاشى ظلالهما على طريق ترابي مع غروب الشمس.

تتخلل الفيلم مشاهد كوميدية رائعة، لا تزال مضحكة للغاية، وتُضحك ابني البالغ من العمر تسع سنوات بشدة. لكن للفكاهة مرارة في النهاية. فآلات المصنع، التي تبتلع تروسها تشارلي حرفيًا قبل أن يُصاب بانهيار عصبي، لا تعمل لصالح الناس؛ بل تلتهمهم (مع أن هذه التروس مطلية لتبدو معدنية، إلا أنها كانت مصنوعة من الخشب والمطاط). يُظهر المشهد الذي يُجبر فيه تشارلي على تجربة جهاز آلي مُصمم لإطعام العمال بسرعة، مما يوفر وقت الشركة، على الرغم من طابعه الفكاهي، هشاشة الفقراء واستغلال الأغنياء. وكما وصفه الروائي والشاعر الإنجليزي جورج أورويل (1903-1950)() في روايته "1984"() (المنشورة عام 1949)()، فإن المصنع مُجهز بكاميرات وشاشات تُمكّن مدير الشركة من مراقبة كل تحركات موظفيه، حتى أنشطتهم في دورة المياه. أما الكوخ المُتهالك الذي استقر فيه تشارلي مع الفتاة، حيث تتدلى العوارض من السقف والأرضية مُتهالكة، فرغم أنه يُثير الضحك، إلا أنه لا يزال يتردد صداه في أذهاننا: فصعوبة إيجاد سكن لائق ليست من الماضي.

يتبع عدد القادم

سرديات

في مئويته.. ما الذي تبقى من السياب؟
نموذجه الشعري لم يزل نموذجا متحكما في متن الشعرية العربية

(1)

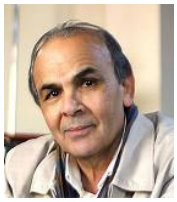

علاء المفرجي

مازال الشاعر السياب حاضرا في التجارب الشعرية الحديثة على الرغم من التباين فيما بينها وتنوع علاقاتها والحوار فيما بينها.لكن ما حققه السياب بعد أكثر من ستين عاما عاما على غيابه، كان وما زال مثيرا لأهتمامات الشعراء والنقاد والدارس الأكاديمي لأن الذهاب نحو تمظهرات الشعر العربي يقتضي أولا استذكار تجربة الريادة الشعرية التي ذهب بها السياب لمرتبة متقدمة وحاز صفة الريادة، حيث استطاع عبر تاريخ طويل من ارساء خصائصه الفنية التي تحولت ملمحا لتجربة الشعر العربي الحديث. كما لابد من التذكير بأن حداثة الشعر العربي تنوعت المشاركات فيها وكل واحد منهم أدى دورا، لكن هذا لايمنع من التعامل مع تجربة السياب بوصفها الأكثر حضورا وتمركزا مع مجاورة لها بصفات خاصة لتجارب علي أحمد باكثير ولويس عوض ونازك الملائكة.

ولأننا نستذكر السياب، لابد من الأشادة بما حققه وكرسه وذهبت به حركة الشعر نحو الأشادة والأعلاء والتمجيد.وعبر هذا التاريخ الطويل للتحولات في الأنواع الأدبية وحصرا تجربة الشعر، يتكوّن للسياب حضور مهم وبأمكانه أن يقدم دروسا للأجيال على الرغم من حضور الأختلافات والتباينات وضرورات السيرورة.

وكان الناقد الراحل ناجح المعموري قد قال مرة: أن فتح السياب منفذا رائدا قاده مع أسماء شعرية أخرى علينا التذكير ببعضهم مثل لويس عوض وعلي أحمد باكثيرونازك الملائكة، لكن تجربة السياب ما زالت مثيرة لأهتمام التنوعات الثقافية والنقدية بوصفها محاولة رائدة أسست لحظة الأنتقال من القافية الى التفعيلة مع تطوير بالرؤى والعلاقة مع المألوف التقليدي المغايرة عما كانت عليه بالسابق وأتسعت هذه التجربة وتنوعت من خلال الذهاب نـــحو مفاهيم مغايرة وابتكارات وسائل أدخلت القصيدة الحديثة الى فضاءات جديدة كالصورة المرئية، والتشكيل، المكان. وأشار أن علينا أن نسجل ريادة السياب المبكرة بالذهاب نحو الأسطورة وتوظيفها للأستفادة من امكاناتها الفنية المعروفة والتي تغذى بها الشعر بوقت مبكر.وهذا يمثل نوعا من حوار السياب مع جماعة أبولو والديوان فهما يدخلان الميثولوجيا في التجربة التحديثية للشعر. وكانت مساهمة عبد الرحمن شكري والعقاد والمازني في التنظير عبر مقالات نقدية منذ 1911 وظهرت في كتاب مشترك للعقاد والمازني بأسم (الديوان) في جزأين وأيضا لعبت جماعة أبولو دورا جوهريا، عمق هذا التوجه الذي ابتدأه اليوت بعد الحر ب العالمية،وذهب السياب لحظة حوار جديد في تنوع المواضيع التي كانت غائبة ونشر قصيدته «بنلوب»1947 مثلما ذكر د.محسن اطيمش وظل اهتمام السياب متنوعا وعميقا لكنه لم تتجاوز معه رؤى ثقافية ونقدية من قبل الشاعر. عدد من الشعراء يبدون ارئهم في نمذج السياب الشعري.

الشاعر ابراهيم البهرزي: نموذج السياب يشكل فاصلة معيارية في متوالية ثورات الشعر أستعين في تجربة السياب، بمعيار ديفيد كون في بنية الثورات العلمية وبنية الثورات الشعرية، وباعتقادي المتواضع على الأقل، اكثر المعايير بعدا عن الأهواء، فان نموذج السياب يشكل فاصلة معيارية (او الباراديم بحسب كون) في متوالية ثورات الشعر العربي القليلة، نموذج السياب او باراديمه لم يتم تجاوزه حتى الان بعد مرور اكثر من سبعة عقود على اجتراحه، فمنذ الثورة السيابية والشعر العربي الحديث بمجمله لم يغادر النموذج السيابي الا جانحاً، أي خارج

إطار النموذج الشعري المتفق عليه تاريخيا ونقديا وذوقيا، وهذا الجنوح المتمثل بتجارب قصيدة النثر في اشد تجاربها راديكالية يقع خارج متن الشعرية العربية التي اجترح السياب نموذجها الأخير متمثلا بما اطلق عليه قصيدة الشعر الحر، اما في تجاربها المتساوقة مع الشعرية العربية (كنموذج الماغوط مثلا متفردا) فانها تمثل امتدادا للنموذج السيابي، وهو نموذج قصيدة النثر البدهية كمصطلح مفارق لقصيدة النثر القصدية، أي تلك التي تقصد عمدا التخلي عن الإيقاع الظاهر حتى وان لم يكن مقيدا لسيرورة النص.!

أن تجربة السياب ونموذجه لم يتوقف عند قصيدة التفعيلة (او الشعر الحر مصطلحا مجازيا) بل هو ممتد ومتواصل في تجارب قصيدة النثر البدهية المتمثلة بالنموذج الماغوطي ونصوص انسي الحاج الطويلة وفصوص سركون بولص وفاضل العزاوي وجليل حيدر ونبيل ياسين ورعد عبد القادر وطالب عبد العزيز ونماذج كثير ة من النصوص التي لا تكتب النثر بقصدية الهروب من الإيقاع الظاهر لا اكثر!.

نموذج السياب الشعري لم يزل نموذجا متحكما في متن الشعرية العربية المتطورة بداهةً أما التشظيات الخارجة عن باراديم السياب الشعري والخارجة بقصدية المخالفة فانها للأسف لم تشكل نموذجها القادر على الإطاحة بنموذج السياب!، ويمكنها ان تشكل قاعدة كمية واسعة انتاجا وانتشارا، لكنها لم تشكل ذلك النموذج الذي يتجاوز نموذج السياب ليمكن تجاوزه تماما ونهائيا الى نموذج اخر منفصل كما يحدث في كل بنيات الثورات المتعاقبة علما وأدباً..

هذا الكلام لا يعني ان تلك التشظيات اقل ابداعا من نموذج السياب الشعري، انها مبدعة في

تتمة ص التالية

شكل اخر يحاول ان يكون نموذجا، لكنه لم يزل يحاول، في حين ان نموذج السياب قد استقر وتجدد خلال محاولات بناة أركانه، وربما لن يكون سعدي يوسف مثلا اخر تجليات هذا النموذج.!

علي عبد الأمير عجام: من المكان الذي يأخذه الى فطرة الانفتاح والتطلع الى الغد ظل النص السيابي يمتلك من القوة والديناميكية ما أعطاه القدرة على أن يبدو ابداعاً مستمراً، وريادة ذلك النص كانت تتمثل في تجاوزه الاطار الشكلي القديم للشعر، فهو نص بمثابة سؤال يحمل رؤيا المصير، فضلاً عن الاندفاع باللغة جاعلاً منها «لغة حيوية» تخرج من نطاق الانطباع والوصف إلى مستوى ذي بنية درامية قائمة على الاختلاف الحاد مع البيئة الاجتماعية والفكرية، فشخصيته على النقيض من وقائع حياته ومحيطه الاجتماعي، فكان دائم التطلع الى الكشف فيما كان السياسي فيه يأخذه الى التمحور في دائرة موقف محدد، كان ينضج فنياً في قمة انشغالاته الفكرية ـ انتماءاته السياسية فيما هو جزع منها، برم بها، بأنقاض هياكلها ـ كما اكدت الاحداث لاحقاً صدق ما رآها عليه السياب في حينه.

انه الرومانسي، هو الحالم في بواكيره... ومن المكان الذي يأخذه الى فطرة الانفتاح والتطلع الى الغد، كانت تلك الرومانسية، هي التعبير الهادئ والموجز عن توقعه لمغادرة المكان إذ يصبح أضيق مما يتسع في روحه من عوالم و رؤى... ثم انها سيرة نمطية للمثقف في أن يغادر أمكنة صباه نحو مراحل التعليم العليا في العواصم. تلك البداية لشدة كونها حقيقية وأصيلة، كانت نقطة الجذب لكل التحولات... فها هو السياب عند ذاته ولها يعود في مرحلة متأخرة من حياته والتي سميت مرحلة «الانكفاء على الذات»... الذات المتعبة جداً، والجسد المنهك المضاء بالكثير من الشموع الشخصية للشاعر.

عمار المسعودي: لو نظرت الآن للنص السيابي لوجدته مشابها للمتن العمودي ـ يمكن حسبان هذه الانتقالة من العمودية إلى الأفقية ضربا من المدنية وهي تقرر انبساطها ومفارقتها قرقعة الجمال وخطوها الوئيد أو المتسارع قطعا للمفاوز والصحارى. الأفقية فكرة تأملية تطلب مستقرا لا عبورا مهتزا، تطلب فردانية وعزلة لا جماعية ولا أغراضا شعرية موقوفة على هدفية واحدة وجهوية بائنة. هذه أحداس عما حصل مـــن تبديد نسقي كانت ضحيته القيامة الشعرية جهة المنبسط الأفقي من القصيدة إلى تهيئة أولى لفكرة النصوصية المبثوثة على بياض الورقة.

ما يحسب للريادة هو جرأتها في كسر النمط العمودي بعده سلطة ارتبطت بمفهوم الشعرية العربية الأمر

الذي المجال واسعا أمام ما حصل لاحقا من تغييرات طرأت على الشكل الشعري وعلى مضامينه. مع كل ضجة قيام الريادة إلا أنها لا يمكن عدها ثورة كاملة فقد ظلت اللغة وظلت الرؤى تتقارب مع ماضي السطح الشعري الذي تم اختراقه مرة إلى الأعلى وأخرى نحو الأسفل. لو نظرت الآن للنص السيابي لوجدته مشابها للمتن العمودي عدا منثوراته على الورق مع وجود التفعيلة التي تمنعه من أن يكون حرا.

لو دققنا نظرا فيها أعني الظاهرة السيابية لوجدت انشغالا شكليا يكاد ان يخلو من الفعل على المنظومة اللغوية مع استجلاب لإضافات ثقافية املاء لفراغات غياب الشكل.

كانت اللغة تكاد أن تكون مباشرة معجمية عاقلة لم يجننها وجود فضاء شعري مجازي عدا افعال بلاغية تشبيهية واستعارية قريبة وجه الشبه. انسحب هذا الأمر على الجيل الستيني ويصلح حسب الشيخ جعفر مثلا فكان جل همه هو الألعاب الشكلية داخل مشغله الشعري بينما لو فتشت عن التشغيل الشعري فأنك ستجد المفردة نفسها غير مستباحة وغير مغيرة دلاليا لإنتاج عوالم جديدة من صنع اللغة وليس من جراء العالم الخارجي من توظيفات أيدلوجية أو مناسبتية.

علي حسن الفواز: تحويل البناء الاستعاري الى مجال جاذب للمختلف؛

الحديث عن حركة السياب التجديدية في الشعر العربي ترتبط بالأسئلة العميقة التي اثارتها، والتي اعادت الى الاذهان مفهوم الريادة بوصفه تأسيسا ضديا، وتمفصلا فارقا في التاريخ، وبقدر ما حملت القصيدة السيابية جدّتها ومغايرتها، فإنها فتحت المجال لحديثٍ اكثر جدلا حول هوية هذا التجديد، ومدى قدرته على مواجهة التاريخ القار لمركزية القصيدة العربية التقليدية..

بعد مئة سنة على ولادته، وتسع وخمسين سنة على رحيله، لا يجد العقل النقدي العربي نفسه، سواءً في خطابه، أو في سؤاله، إلا ازاء مراجعة لفاعلية المشروع الشعري، بـــوصفه تجاوزا، وخروجا عن نسق المركزية، وانشدادا الى زمن شعري يتسع للمفارقة، على مستوى تقويض الشكل ونمطية بنائه الصارمة، والنزوع الى نظام تفعيلي مفتوح، وأكثر تحررا، فضلا عن المستوى الذي يتعلق بحمولات القصيدة الجديدة، بوصفها قصيدة وعي مغاير، ورؤية مغايرة، وانفتاح على اليومي والاسطوري والنفسي، إذ تحولت القصيدة السيابية الى رهان على الجدّة، والى خيار لمواجهة مركزية النظام الشعري العربي، بتوصيفاته ومرجعياته البلاغية والبنائية والاسلوبية، احسب أن السياب المسكون بشغف وعيه القلق، وضغط اسئلته الوجودية لم يجد سوى الانحياز، وبـ «قصدية» الى حرية الكتابة الجديدة، بوصفها حرية صاخبة، لكنها حذرة، جعلت من تجربته الشعرية، وحتى تجربته الحياتية مزحومة بصراعات عميقة، وبتحولات اكثر عمقا، واكثر اندفاعا لتجاوز «الفطرة الشعرية» الى «الصناعة الشعرية» حيث خرق المألوف، وحيث تحويل البناء الاستعاري الى مجال جاذب للمختلف، والمفتوح على الاساطير والمثيولوجيا، وحتى على الرمزي بتشفيراته النفسية والطقسية، إذ هي قصيدة التجربة والمغامرة، مثلما هي قصيدة التلاقح المفتوحة، وبحساسية عالية على انماط شعرية عالمية، حيث الشعراء الانكليز، لاسيما أليوت وستويل، وحيث شعراء التجربة المصرية في ابولو، وكذلك في تجربة المهجر اللبناني، وبهذا تكون مغامرة السياب في الكتابة تمثّلا حادا لاشباعات الوعي بشعرية العالم، التي مهدت الطريق لمغامرات اخرى تستفزنا ونحن نراجع ذاكرة المشروع، وسيرة «الشعراء الموتى» وما استغرق شعراء الستينات في العراق، وشعراء المغامرة اللبنانية والمصرية من تحولات يظل هاجسا يتذكّر تلك الاسئلة التي تركها السياب على طاولة اللغة..

الشاعر علي محمود خضير: لقد نجح الشاعر في الشعر كما لم ينجح في شيء غيره أرى أن يخرج الشعر من ينبوع التجربة الروحية، والعلاقة الغامضة بين قوّة العذاب الشخصيّ وقوة الشعر وهي تنتج قصيدة نافذة للوجدان. فقد نجح الشاعر في الشعر كما لم ينجح في شيء غيره، اجتماعياً وسياسياً، وقيضت له لحظة تاريخية عراقية خاصّة، كانت فيها البلاد مركزاً مُستقطِباً وبيئة متلهفة للجديد في كل شيء:

يتبع عدد القادم

مراجعات فكرية

مراجعة كتاب *: « البقايا ـ جاك دريدا » نص تعليق/ بليشيت دي أرميت ، كاس سغافيا (1)

شعوب الجبوري

ت: من الألمانية أكد الجبوري

الرحيل
الفهرس
مقدمة محرري السلسلة
شكر وتقدير
قائمة المختصرات
القسم الأول: البقايا
1 . البقايا ـ السيد، أو مكمل اللانهاية/ جاك دريدا
القسم الثاني: البقايا، البقايا
2 . ما يبقى: البقاء في كتابات دريدا
القسم الثالث: استعارات أكل لحوم البشر
3 . البقايا
4 . أكل لحوم البشر: استهلاك الآخر
القسم الرابع: اقتصاد التضحية
5 . اقتصاد التضحية
القسم الخامس: ما تبقى من البقايا
6 . الرحيل، البقاء
المراجع
الفهرس

ملخص تجريدي مبسط؛

مع أن دريدا لم يكن شخصية هامشية قط، إلا أنه ترك وراءه إرثًا غزيرًا مما قد يميل المرء إلى تسميته بالهوامش: مقالات ومقابلات عابرة، وملاحظات محاضرات لم تُنشر قط، ومنجم حقيقي من المخطوطات غير المنشورة وغير المترجمة -معظمها محفوظ في جامعتي إرفاين وبرينستون- والتي ينبغي أن يستفيد منها الباحثون المهتمون بالفلسفة لأجيال قادمة. ومن بين هذه المقتنيات الأقل استغلالًا حلقات نقاش "أكل الآخر (بلاغة أكل لحوم البشر)"() التي عُقدت بين عامي 1989 و1991()، والتي وصفها دريدا ذات مرة بأنها "سبقت مباشرة" مـا أصبح كتابه الشهير "*سياسة* الصداقة" (). بينما ينتظر الباحثون بفارغ الصبر صدور كتاب "أكل الآخر" كاملاً، ظهر بديلٌ قيّمٌ لا يُضاهى حاليًا، وهو كتاب "بقايا - جاك دريدا: نص وتعليق" (2025، ويُشار إليه فيما يلي بـ (أر)() للبروفيسورة كاس سغافي (1968-2015)() وبليشيت دي أرميت. (مع العلم أن دي أرميت، التي كانت تشغل منصب رئيسة قسم الفلسفة بجامعة ممفيس، وزوجة سغافي وزميلته في العمل، قد توفيت عام 2015، تاركةً التعليق ليكمله البروفيسور سغافي وحده).()

مقدمة لابد منها؛

يُشكّل هذا الكتاب، الذي طال انتظاره، محوره الرئيسي، والسبب وراء كل ما يحيط به، وهو الترجمة الإنجليزية لكتاب "بقايا السيد، أو مُكمّل اللانهاية" (2002)(). تأتي هذه المقالة بعد قسم الشكر والتقدير والإهداء و"الرحيل"()، وهو تكريم لكريس دي أرميت يُعلن بهدوء أن ما سيقرأه القارئ هو عمل رثاء حقيقي. وهكذا، تُؤطَّر الترجمة، من البداية إلى النهاية، بما يُعتبر "تعليقًا" يتخذ في المقام الأول شكل سياق متواصل (ملخص "الرحيل"، الأقسام من الثاني إلى الرابع) وملحق أشبه بالمعجم (القسم الخامس). تُؤطَّر هذه العناصر مجتمعةً مقالة دريدا ضمن سياق اهتمامه المُطوّل بمنطق "البقاء"، مدعومةً في البداية بملاحظة تاريخية موجزة تُقارن استباقيًا بين "البقايا" ومنطق الجوهر، و"الخاصية"، و"الظاهر"، وذلك بفضل جزئيًا لكتاب

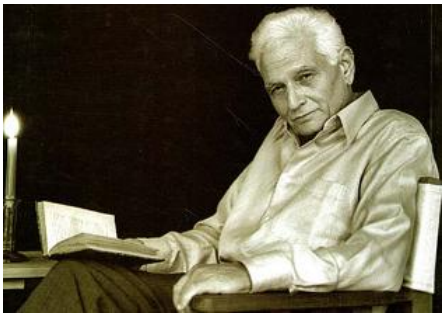

الفيلسوف الأمريكي ديفيد فاريل كريل (1944-)() "كل ما لا يمكنك أكله" ().(2006)

يتخذ انشغال دريدا بالباقي عدة مسميات تقنية، لكن ما يسميه مايكل ناس "خطاب دريدا العام، إن لم يكن نظرية البقايا"()، يتمحور حول "البقاء" و"المقاومة" - وهما مصطلحان عمليان يتشاركان "الدواء" (أو السم)، والاختلاف، والتكميل (). وكما هو الحال مع ما يُسمى بـ"شبه المتعالين"، فإن الباقي ليس "مفهومًا" بقدر ما يُفضل دريدا تسميته "فكرة" ()، أو كما يُفسره هنا، ما "يتجاوز أو يتسامى مع ما يُحدده بينما يكون جزءًا منه"()، وهو "مُشابه" على الأقل للخير الأفلاطوني-الأفلوطيني الذي يتجاوز الوجود إلى "ما وراء الجوهر"(). يكتسب كتاب "البقايا" قيمته من خلال تقديمه، وبشكل أكثر وضوحًا من أي كتاب آخر متوفر باللغة الإنجليزية، حجة قوية مفادها أن كلمة "البقايا" تنتمي إلى نظيراتها الأكثر شهرة، بل وترتبط ارتباطًا وثيقًا بما يُسمى "خارج" الفكر الغربي، كما يُعبَّر عنه في مفهوم "بقية" العالم: هنا، الهند الفيدية.

*** مراجعة كتاب:**

العنوان:البقايا - جاك دريدا: نص وتعليق (الآثار - جاك دريدا: نصوص وتعليقات ((1974)/ جاك دريدا.
المؤلف: محرروه: بليشيت دي أرميت، كاس سغافي
الناشر: مطبعة جامعة إدنبرة
رقم الكتاب الدولي المعياري: 13: 978-1474400329
تاريخ الإصدار: 2025
عدد الصفحات: 216 صفحة

تتمة ص التالية

"أفكاري حول حدود الأكل تتبع في مجملها نفس المخطط الذي تتبعه نظرياتي حول ما هو غامض أو غير قابل للترجمة في النص. هناك دائمًا بقايا لا يمكن قراءتها، يجب أن تبقى غريبة. لا يمكن أبدًا استجواب هذه البقايا باعتبارها هي نفسها، بل يجب البحث عنها باستمرار من جديد، ويجب الاستمرار في كتابتها()".

لا يُجادل نص دريدا في هذه النقطة بقدر ما يُعيد طرح أحد برامجه المفضلة. كُتب بناءً على طلب موريس أولييندر لمجلة "لو غانر". في هذا العمل الإنساني، يُقدّم دريدا "تكريمًا" لزميله في المدرسة العليا للدراسات في العلوم الاجتماعية، تشارلز مالامود، بهدف "إعادة صياغة مُسلّمات إشكالية أصلية حول البقية عند مالامود"(). ويتبع هذا المسار "بشكل وثيق" مسار ندوة "تناول الآخر"، التي قدّمها دريدا أثناء "انشغاله" بقراءة *كتاب* مالامود "الرائع"() "طبخ العالم" (1989) (). إذن، ما يُعيد "البقايا" صياغته ليس أطروحة بقدر ما هو منطق - منطق "التقارب" بين "اقتصاد التضحية" الذي يربطه دريدا بـ"المشروع اليوناني الأوروبي للوجودية-اللاهوتية-الظاهراتية"()، وهو "تخمين" يُخضعه (أو يُضحّي به) لأبحاث مالامود في البراهمية الفيدية "كاختبار". "ما يعلمنا إياه ويعطينا إياه لنفكر فيه.()"

في مقابلاتٍ أُجريت في الفترة التي سبقت ندوة "مانجر" (مثل "حدود الهضم" و"الأكل الجيد"، المشار إليهما فيما)، حرص دريدا بشدة على التأكيد على أن الفرضية العامة لمثل هذا "المنطق التضحوي" "ليست بأي حال من الأحوال حكرًا على ثقافة معينة في الفكر الغربي"(). فكل ثقافة تأكل، أو "تدمج"، أو "تستوعب"، أو "تستبطن"، فإنها بذلك تُقرر ما تطرده باعتباره غير قابل للاستيعاب/ "غريبًا جذريًا" أو "مختلفًا". وبناءً على ذلك، فإن المعرفة بوصفها استهلاكًا، أو تحديد ما يمكن معرفته باعتباره ما يمكن استهلاكه رمزيًا، "يمكن اعتبارها بدقة أكبر أمرًا ثقافيًا مسبقًا" (). هذا ما سعى إليه دريدا لاحقًا تحت عنوان "المركزية الغذائية": "كلنا - نباتيون أيضًا - آكلو لحوم بالمعنى الرمزي"(). هنا، يمتد مخطط "النفس والآخر" الذي اشتهر به علماء الظواهر ما بعد الديكارتيين في كتاب "التأملات" ليشمل "العلاقة الكاملة بين الفهم والأكل" ضمن أي ثقافة طهي مهما كانت - وليس فقط على تلك المحاور التي لا تزال تُجمع حتى اليوم تحت مسمى "اليونانية اللاتينية" و"اليهودية المسيحية.() "

ما يُطرد في أي اقتصاد من هذا القبيل هو الباقي: الفائض، أو البقايا، أو الهدر، أو في كثير من الأحيان القيء المجازي الذي "لا يسمح لنفسه بأن يُهضم، أو يُمثل، أو يُصرح به" ("المحاكاة الاقتصادية")(). ولذلك، يصبح "غير القابل للاستيعاب" "المتعالي على المتعالي، غير القابل للتسامي"(). ومع ذلك، فإن هذا الباقي ليس "وجودًا" بسيطًا يمكن طرحه واستعادته كـ"شيء عارٍ"، بل هو الباقي الذي يجب أن "نفكر" فيه بشكل مختلف من خلال "بطريقة أخرى" "ستكون على نحو مختلف عن الصواب" (). إذا فُهم الأمر بشكل مختلف، يمكن لدريدا أن يصر على أن هذا الباقي "ليس" شيئًا: "هناك بقايا، ليست كذلك"(). "لا شيء يبقى. هذا الباقي له صفة المحايد، وهو غير موجود"()، ومع ذلك فإن "حياد المحايد هذا هو ما سيُحرك التمثيل، والخيال، والباقي الذي هو لا شيء" وفقًا لـ"المنطق الذي يُحرك كل شيء" نفسه ("أصداء اللقاءات". (2003)()، في "التفكير.() "

لذا، يجب القول إن الباقي ينتمي إلى الاختلاف، والدواء، ومصطلحات دريدا الأخرى "غير الرئيسية"(). ولكن هناك لحظة حاسمة للبقاء يسميها دريدا "تخمين التخمين"، "إنعكاسًا"(). إنّ النظام الاقتصادي نفسه الذي يُهمّش ما تبقى باعتباره مرفوضًا أو مُهمَلًا، قادرٌ على إعادة بنائه كأساس أو موضوع. وكما قال في عام 1987()، فإنّ "الركيزة المُثبّتة" هي التي "تصعد إلى الأعلى. إنها قائمة؛ إنها وقفة، أو محطة، أو مقطع؛ إنها تُشيّد، وتُؤسّس، وتُبني" ("بعض التصريحات"(). هذا هو الشكل العكسي لـ "المقاومة" أو "الوقفة" التي هي "أساسًا تأسيسية - الشكل المُوحِّد والمُثبِّت للركيزة. إنها تُشيّد النظريات وتُعزّزها، وتُقدّم الموضوعات والأطروحات، وتُنظّم المناهج والتخصصات، بل والمدارس" (). هناك "عنفٌ تأسيسيٌّ يتمثّل في جمع ما يُرمى(الباقي)، وتحديده وترتيبه هرميًا - أي فرض التضحية عليه" - ولكنه، في انقلابه، "يُرتبه ويجعله متاحًا، ذا معنى، قابلًا للتفسير".

ومن خلال هذه البادرة، ينقلب "الأسوأ" إلى "الأفضل"، "الكآبة كأساسٍ يتجاوز الوجود والعدم"(). هذا الانقلاب ممكنٌ ليس بسبب ما "يكون" عليه الباقي أو ما يُحدد أنه عليه، بل لأن "بنيته النحوية الشكلية البحتة للتكميل"، "في آنٍ واحدٍ شكلٌ وقوة، فعلٌ وطاقة"، هي "تجاوزٌ بحد ذاتها دون مضمون وجودي... شكليةٌ بحتة، أكثر شكليةً من كل ما هو موجود.()"

هنا يُقدّم كتاب مالامود "طبخ العالم" لديريدا - بعد أن تناول مفهوم "الرمي" عام 1987() باعتباره "الموقف" الذي يُمكن التفكير فيه "من خلال مفهوم هايدغر "الغاية" ومفهوم أرتو "الذاتية" وما وراءهما"() - المنطق الطقسي الموسّع لـ"أوتشيستا"، أي بقايا القرابين. تلعب البقايا دورًا مزدوجًا في الطقوس البراهمية: دورًا سلبيًا، باعتبارها تُحدّد بدقة "الفروق الهرمية" بين الطهارة والنجاسة، ودورًا إيجابيًا فيما يُسمّيه مالامود "سلسلة البقايا" الصاعدة(). فالكآبة "ليست سلبيةً أبدًا. فالتناقض بين الإيجابية والسلبية يتأرجح هنا أيضًا. ومعه العديد من التناقضات الأخرى"(). في طقوس الشرادها الشهرية في البراهمية، تتناول ثلاث فئات من المتلقين الطعام بترتيب تنازلي ثابت: أولًا بقايا الآلهة، ثم بقايا الآباء، وأخيرًا "فتات مائدة" البشر()، بحيث يكون كل جزء "بقايا البقايا"(). لا يوجد سوى البقايا، إذ لا توجد بقايا لشيء ليس هو نفسه بقية. قد تتغذى المراحل العليا للوجود - ما يمكن تأسيسه أو تحديده أو تكوينه من خلال بقاياه - من هذه البقايا.

ينشأ من هذا "التجانس" الذي يفترضه دريدا في مقالته: "تقارب، قرابة، صلة قرابة... بين اقتصاد التضحية في الثقافة البراهمية (أو طهي) بقايا الطعام والمشروع اليوناني الأوروبي للوجودية اللاهوتية الظاهراتية"(). ويقترح دريدا أن كليهما "يميل إلى اختزال البقايا إلى ما تبقى بشكل عام"()، ثم إلى عكس "ما تبقى إلى الذات". إن الحديث عن "الباقي، بصيغة المفرد"، أو الثقة في "هوية مفهوم الباقي، أو وحدته أو تجانسه الذي يفترض أن يحافظ عليه مفهومه عبر كل الاختلافات"، هو في حد ذاته "استمداد المرء لسلطته من المصداقية التي يمنحها لهذا المصطلح، "شيسا" الباقي/المتبقي: الباقي بشكل عام، جوهر الباقي الموجود في جميع البقايا"().

يتبع في عدد القادم

"مسرحية اللامعقول برداء الواقعية الرمزية" (2)

«طقوس.. بين شعرية الإداء وجماليات المعالم المسرحية»

أ.د.تيسير الآلوسي*

قاسم مطرود ـ المسرح روح

إن لغة مطرود وبنيته في "طقوس وحشية" تتمثل هذا التوصيف بوضوح فعندما ننتهي من القراءة سنجد معنى الكابوس ومعنى لغة تحوم في عالم اللاشعور والعقل الباطن.. فطقوس وحشية لا تتخلى عن التزام جوهر النقد لجوهر الوجود الإنساني وليس للعارض فيه.

وعليه فإن القارئ للنص يجد الشخصية فيه منتزعة انتزاعا تمزيقيا (انفصاليا) عن التافه العارض في وضع علاقاتها بالمجتمع وسياقه التاريخي أي "التشخيص العراقي هنا" لمرحلة زمنية في تاريخ الشخوص التي تظل باستمرار على صلة بالجوهري فيما يخص وجودها وهويتها إنسانيا مع ثيمة تخص العراقي ونكباته وآثار الحروب التي تهتك جدران استقراره الإنساني وطمأنينته...

هنا نعاود البحث عن مفاتيح للشفرات التي تساعد على قراءة العبارات الموجزة (الإيجاز البلاغي) والمقصود هنا كل من خطابي اللغة السمعية واللغة البصرية حيث يوضع التحدي كما يقول أسلن للجمهور في أن يجد المعنى في اللامعنى وأن يواجه الوضع بوعي تام لا أن يحس به في غموض وتعمية وأن يدرك العبثية في حقيقتها وجوهرها لا في معطيات التأويل غير الموضوعي...

إنَّ التوقف هنيهة أمام "طقوس وحشية" تطلب منا أن نمتلك أدوات التحليل والمعالجة كما لو كنّا بصدد تشريح دراما واقعية رمزية ولكن الأمر يظل في حدود الـ (كما لو كنّا... وليس بالضبط أو بالمطابقة التامة..) إذ معايير هذه المسرحية مثلما دراما اللامعقول تكمن في تجريبيتها وتجديدها حتى نتحدث عن وجودها المسرحي الدرامي أو تكمن في الابتكار في التناول التعبيري وفي تداخل الصور الشعرية ومن ثم في التميز والإبداع في الربط بين المشاهد البصرية في حركتها وفي ميزانسينها العميق أي في التوزيع للشفرات أو الكودات الضرورية لتعميق مسار موحد للأثر ولا نقول لوحدة الموضوع الذي يبقى موجودا فقط عبر متابعة الشخصية ومنتجها الأدائي اللغوي أي مختفٍ هناك في الخلفية التي يخلقها الانطباع الناجم عن وحدة الأثر المشار إليه...

الراحل ـ الكاتب قاسم مطرود

صحيح أننا أمام ديمومة من حالة القلق وامتلاء بالحيرة من انعدام منافذ الحل لأزمة الشخصيات في المسرحية.. وأمام ضياع أو تشظٍ في أوهام ومسالك متعددة مختلفة.. إلا أننا في الوقت نفسه نجد شخصيات "طقوس وحشية" تمتلك التصميم والعزيمة لمواجهة الحيرة والوهم في إشارة جدية لمجابهة الواقع ذاته وهنا تظهر قيمة الإيحاء والدفع بإشكالية الأثر في التلقي والمتلقي بديلا عن تعويم الموضوع وعمّا نجم عن تمزيق وحدته التقليدية العتيقة...

ونحن نحيا بهذه الوسائل الدرامية تجريبية لحظات قراءة (واحتمال حفلة عرض) في النص الدرامي لنعيش عبرها ومن خلالها تجربة صوفية هي الوحيدة في التعبير الجمالي هذه التي تساعدنا على الضحك من واقعنا وتراجيدياه، بالتحديد كون أفعالنا هنا تقع تحت حصار توجيهها ضد ما لا يمكن تجنبه ما يجعلها مجرد عبث لا طائل مـن ورائه وهنـا تكمن تراجيديا العصر التي تطلقها مسرحية اللامعقول، بالخصوص هنا مسرحيتنا طقوس وحشية التي تمثل صرخة صمت أخرس في عوالم تراجيديا عراق الأمس واليوم؟

ومما يمكننا تلمسه في طقوس وحشية مجيء علاقات الكلمات بعضها ببعض بشكل متحرك متغير ولكنه ليس اعتباطيا كما يحصل في عدد من مسرحيات العبث ويمكن الرجوع إلى دائرية الحوار في "طقوس وحشية" وإلى تبادليته وتساويه أحيانا وتكراريته ولكننا باستمرار نجد تراتبية تمتلك في جوهرها وبنيتها العميقة ما ينسج وحدة أو علائقية من نمط بنائي ما..

ولعل كون الشخصية في طقوس وحشية تمثل اختيار قضية لتعادل أو تساوي بنيويا تلك القضية في آلية حركتها ومسار تناولها ومعالجتها، لعل ذلك هو ما يعيد للغة امتلاك الكودات المناسبة والوحدة الداخلية والتنقلات العبثية ولكن ليس الاعتباطية بالتأكيد..

وأيا كان اختلاف الشخصيات مع خالقها في المعالجة وفي التناول وجملة الحركة فإنَّ خطابها أو لغتها لا يمكن أن تقف عند حدود اليأس من الحياة والإحباط بقدر ما تنفتح على الأمل في حياة أخرى بديلة لتلك التراجيدية البائسة...

ومن الطبيعي أن يكون مطرود في خطاب مسرحيته "طقوس وحشية" متعاملا بذكاء عندما يتمثل مضمون ما قاله أسلن في كون مسرح العبث لا يجادل بل يعرض وطبعا هو لا يتمثل الفكرة مجردة ولا بشكل تطابقي تماثلي بل بإبداع يجعله يضع الحوار ونصه اللغوي في موضع رصين بنيويا وفي حال من التأهيل لعرض تام لصور حسية حياتية ستشكل لاحقا حفلة العرض أو الحياة المتجسدة في ذهن المتلقي القارئ..

وبتناول مباشر لطقوس وحشية سنجد في تعليقات المؤلف المبدع توكيدا على اللامعنى

---

* أستاذ الأدب المسرحي

تتمة ص التالية

وعلى هذه (اللا) قبل كل ما هو صحيح وصحي في حياة الإنسان سواء بشكل مباشر كما يرد في توصيف السيد مطرود عندما يستخدم مفردة "اللامعنى" أم بشكل غير مباشر عندما يستخدم مفردات "القلق والخوف وغيرهما" قاصدا اللااستقرار واللاطمأنينة مثبِتا التعارض مع منطق الصائب إنسانيا...

ومن هنا فإنَّ شخصياته في "طقوس وحشية" تذهب إلى أداء الحوار في الآن الواحد وليس مهما ألا يصل المتلقي لما تنطق به تلك الشخصيات أحيانا؛ ولكنه يريد فقط أن يشير إلى حركة تدب في شخصياته ليقول إنها موجودة بيولوجيا ولكنها مسلوبة مسحوقة الهوية البشرية بالمعنى لا البيولوجي البحت بل الوجودي الفسلفي. إذ نحن أمام أصوات يتم مداخلتها إتلافيا عن عمد كما هو الحال في لا معقول المسرحية أداء تجسيديا وفلسفة. ولكن السؤال الذي يظل يؤكد وجوده يكمن في القول: إذا كانت العبارات التي يريد من شخصياته أن تنطقها مضببة لا تصل كما هي، فلماذا كانت تلك العبارات منتقاة ولم يتم تركها للارتجال؟ وإذا كانت كذلك فلماذا الدقة في مسار تلك العبارات وتنقلاتها في البنية العميقة للعمل؟

وفي الحقيقة لابد هنا من العودة إلى كون لا معقول ABSURD المسرحية الحديثة قد شق لنفسه خصائص جديدة فلم يعد يعتمد منطقا عبثيا معوَّما بل صار للهدف الدرامي الموضوعي حضورا واضحا فصار يبحث عن تنسيق في بنيته العميقة عبر تشفير مقصود لمسار تلك البنية حيث نصل مع النهاية الفيزيائية والبنائية الشكلية الممثلة في العمل المسرحي المعين إلى افتراضات مفتوحة قد تكون بعدد حالات التلقي ولكنها المحسومة من جهة الإشارة التي تحيلنا إليها معالجة النص وتناوله مادته. وبالتأكيد تظل تلك الإشارة وجودية المنحى كما أسلفنا القول وإنْ تعددت صور التعامل مع تلك القيم من إقرار بالهزيمة والقدرية في منحاها ولكن مع إبقاء لفرصة الإصرار على التصدي لها وللتالي من معركة الحياة والوجود..

إننا بهذه الحقيقة نشارك الشخصيات حالة تشظيها من بعضها البعض وتوالدها وتنقلها بإيقونة سيجسدها الممثل على الركح [أو خيالنا في تبنيه التصوير الدرامي للكاتب].. وبذلك تتحقق متابعتنا وجود الهدف ووحدة الأثر في خلفية وجود تلك الشخصيات وحركتها عـبـر مسار الوقائع التي تشكل الفكرة المنتظرة من لا معقول "طقوس وحشية" ورموزها.. ولدينا في طقوس وحشية مستويات عديدة لمتابعتنا مسار الحدث الدرامي فيها:

فالفضاء المسرحي الموصوف في النص هو خلق لتلك الأجواء التي يريد الكاتب نقلنا إليها لنلتقي شخصياته هناك بل لنراقب معه وجودنا فيها قبل وجود شخصياته. ومن هنا نتعرف إلى خصوصية ديكور طقوس وحشية بامتلائه بحشد لا ينتهي من الإيقونات المناسبة لرؤية المسرحية.. ولاحظوا معي على سبيل المثال العربة السرير أو السرير العربة وما عليها من إكسسوارات بكل ما تحمله من معطيات دلالية بما ينقلنا الأمر ذاته مع بقية الإشارات من مثل رمي الكتب عند قدمي المرأة لحظة تقمصها دور المعلمة ورمي الحبل أمامها عند الحديث عن الإعدام وظهور إشارات أخرى تنهض بدور تقريري تفسيري في مفردات الحدث وجزئياته...

أما المستوى الآخر لرسالة مسرحية طقوس وحشية وخطابها فيصلنا عبر اللغة \ الحوار، فالتعبير اللغوي تعبير موجز مختزل يظهر بعبارة اللغة البرقية وهو هنا مقطَّع الأوصال؛ الجملة فيه يُحذف منها حتى المسند إليه أو ركنها وعمادها الأساس بغايات مقصودة بالتأكيد ومع ذلك تظل تلك الجملة إبلاغية تزودنا بكفاية دلالية بالحجم الذي يختار أخذه الكاتب من شخصياته المستقلة...

وبانتقالة لمستوى آخر من المسرحية نستقرئ مشاهدها وما تعكسه من بنية ففي المشهد الاستهلالي لها يُسمِعنا الكاتب أصواتا من خلف العتمة حتى يُنار لنا الركح نكون قد تعرفنا إلى صوتي المرأة والرجل وهما يتصلان ببعضهما متقاطعين في أسلوبية أنتَ وأنتِ التي تُشهِر التعارض في موضع والتداخل الاندماجي في آخر.. وبدخولنا الجزء الثاني من المشهد الاستهلالي تكشف لنا العبارة فيه أننا بصدد علاقة عامة لا خاصة جمعية لا فردية شخصية وهو ما يدخل في ضوابط رسم الشخصية في مدرسة العبث...

وتتبادل الأيقونتان [الشخصيتان بل الشخصيات التي سيتم تقمصها لاحقا] عبارات تشير إلى رمزية الدخول إلى المكان حتى يتم تشفير فضاء العرض أو العمل (طقوس وحشية) فلقد دخلا من ثقب باب الحياة.. دخلا إلى الحياة ذاتها من شدة وأزمة واختناق، من بوابة مضغوطة فتركا المنافذ كلها ودخلا عالمهما

من موضع التلصص على هذا العالم أو أنهما دخلا من حيث ينبغي أن يكون مفتاح الباب فكأنهما عين الكاتب على عالم معوَّم مجهول يريد الكشف عنه بلعبته المسرحية أو أنهما استبدلا مفاتيح ألغاز هذا العالم المتخفي فحلا محلها..

في هذا الموضع يبدأ رسم الوضعية الأساسية للمسرحية في خلفية الكودات أو الشفرات التي تمثل دوالا أو أدوات حمل المقاصد المنتظرة من الأثر المتولد عن لقائهما مع المتلقي قارئا أو مشاهدا..

أما البحث عن معجم لفك لغة الحوار فليس معقدا على الرغم من تقطيع أوصال العبارة وتمزيقها بتوزيعها بين صوتي المرأة والرجل.. فبجمع جزئيات النص الموزعة سنجد ما يريدان قوله لبناء نسيج الفكرة الذي يمكننا رسمه أو تلقي أثره واضحا بمتابعة مسار المشاهد.. على أن ذاك الجمع لا يمكنه النجاح في توفير المعجم الدلالي آليا بل بمفاعلة جزئيات الحوار فيما بينها وبتداخل مع الخطاب البصري المتشكل من أوضاع التجسيد وعلاقاتها مع الفضاء المرسوم بخصوصية كما أشرنا..

فضلا عن ذلك سنشهد بقراءة النص الدرامي طقوس وحشية ولادة شخصية ناطقة داخلنا من مجموع تلك الحوارات ودلالتها المركبة وهي شخصية تنجم عن تفاعلنا مع العمل وعن إحالتنا إلى نواقصنا الوجودية عبر اشتراكنا جميعا في الوقائع حتى منها تلك المتعارضة مع وجودنا ذاته.. ولكننا هنا نكون قد دخلنا اللعبة التي لا قِبل لنا أن نخرج منها بعد أن مرَّ سيف الزمن الممتد أو الزمن الذي اشتركنا خلاله باللعبة..

يتبع في العدد القادم

سينما

فيلم "بروفات من اجل ثورة".. يستكشف فيه
أربعين عاما من المقاومة والنضال من أجل الحرية في إيران

قدمت المخرجة والناشطة الإيرانية " بيغاه أهانغاراني "فيلمها الوثائقي "بروفات من أجل ثورة" أو (تمرين هايى براى يک انقلاب)، في مهرجان كان السينمائي التاسع والسبعين، تستكشف فيه أربعين عاما من المقاومة والنضال من أجل الحرية في إيران .

رحلة شخصية عبر أربعة عقود من محاولات تقرير المصير في إيران. من خلال المواد الأرشيفية الخاصة والشهادات من البيئة العائلية، تبني المخرجة أهانغاراني قصة تربط الماضي بواقع البلاد المضطرب الحالي . يشكل الفيلم الوثائقي خمسة صور لأفراد العائلة، ويمثل تعبيرات مختلفة عن المقاومة المدنية. من بداية النظام الإسلامي في عام 1979 وحتى أحداث هذا العام والحرب الأخيرة ، تصف أهانغاراني عملها بأنه عملية استعادة الذاكرة حيث تكشف ذكريات الطفولة في وضع الصراع الأجيال في منظور مختلف. وفقا لتصور للمخرجة، كان لا بد من إصدار الفيلم الآن حتى يتمكن الجمهور من فهم عمق الاضطرابات التي تمر بها أمتها. على الرغم من تصوير ما يعرفه الفيلم ب "الثورات الفاشلة"، تؤكد المخرجة أن النغمة هي أمل. بالنسبة لأهانغاراني، لم يقلل الفشل المتكرر من روح القتال في مجتمع يستمر في العودة إلى الشوارع للمطالبة بحقوقه. في سيناريو الحرب الحالي، تجادل بأن الحل الحقيقي لن يأتي من التدخل الخارجي، بل من ثورة لشعب تم إسكاته تاريخيا من قبل هياكل السلطة القمعية . الفيلم، قبل كل شيء، هو تكريم لأولئك الذين لم يستسلموا بعد عقود من القمع .

بنت المخرجة سرد الفيلم من خلال هيكلية على شكل يوميات حميمة (مقسمة إلى فصول وهي نفسها ترويها في التعليق الصوتي)، تنقل "بروفات من أجل ثورة" الإلحاح والحس والحزن في الوضع، حتى في الأسابيع الأولى من الحرب مع إسرائيل والولايات المتحدة . من خلال خمس صور شخصية لأحبائها، كل واحدة منها تمثل شخصية مقاومة للنظام الديكتاتوري في بلادها، ومع مواد أرشيفية تتراوح بين صور احتجاجات الشوارع والقمع إلى أفلام عائلية منزلية 8، وتسجيلات عاجلة تم التقاطها بالهواتف المحمولة، والصور الفوتوغرافية، والصوتيات والرسوم المتحركة ، تعيد أهانغاراني بناء ما يقرب من نصف قرن من حياة عائلتها (والدها، صانع أفلام وجندي متطوع في حرب إيران مع العراق) والدتها، كانت أيضا مخرجة؛الطالب الذي قتل خلال قمع حكومة محمد خاتمي، مع تجاربها الشخصية ، وهو أيضا تاريخ إيران، من ثورة 1979 إلى كارثة الحرب التي إندلعت منذ عدة أشهر .

" بيغا أهانغاراني"، ممثلة إيرانية خلفها أكثر من أربعين فيلما روائيا قبل أن تنتقل إلى الإخراج، تنسج فيلماً وثائقيا ، سيرة ذاتية تغطي أربعة عقود من تاريخ إيران من خلال عائلتها ومعلميها وذكرياتهافي ظل صراع جديد بين الولايات المتحدة وإسرائيل وإيران الذي أشتعل بدأ هذا العام، يعمل الفيلم كوثيقة تاريخية، ومقال للذاكرة، وتمرين في النقد الذاتي الشخصي . لا تراقب "أهانغاراني" تاريخ بلادها من الخارج، بل من سلسلة من الروابط العائلية، والجراح الموروثة، والقرارات الحميمة الـــــتي ترتبط بالحركات

علي المسعود

السياسية الكبرى في إيران . من خلال خمس قصص مرتبطة بحياتها الشخصية وحياة عائلتها، الفصل الأول، "من أجل والدي"، يتتبع خيبة أمل "جمشيد أهانغاراني". كان جامشيد مؤيدا متحمسا سابقا لثورة 1979 ومقاتلا في حرب إيران والعراق، وكان يعتقد في ذلك الوقت أن وصول آية الله الخميني إلى السلطة كان أفضل يوم في حياته - ثم أصبح جنديا متطوعا في الحرب مع العراق. لكن رؤية الظلم والاضطهاد، من جهة، والإعدامات والاعتقالات السياسية التي نفذها النظام من جهة أخرى غيرت آراءه السياسية ، خاصة بعد اختفاء أحد أعمام المخرجة أهانغاراني . وأدى تحطم إيمانه السياسي بعد إعدام صديقه المقرب داود الذي اتهم بأعمال مضادة للثورة. في الفصل الثاني، توجه أهانغاراني نظرها إلى نفسها وهي تتذكر معلمة الأدب الخاصة بها " شيرمين سراف " في عرض مؤلم من النقد الذاتي، تتذكر المخرجة كيف أن تعليقاتها في طفولتها عن حفلة خاصة ساهمت في فصل معلمتها ونفيها. كان ذلك الذنب نقطة تحول: تركت أهانغاراني المدرسة وبدأت مسيرتها كممثلة، غالبا ما أدت شخصيات متمردة تتوافق مع وعيها السياسي المتنام . تستمر الرواية من خلال عمها رشيد، طالب الصحافة الذي دعم فترة الإصلاح القصيرة للرئيس محمد خاتمي. تنتهي قصتهم بشكل مأساوي بعد المداهمة الوحشية على جامعة طهران عام 1999، وهي حلقة يعيد الفيلم بنائها من خلال مقاطع فيديو قاسية ومحببة لطلاب تعرضوا للضرب على يد الحرس الثوري .

الفصل الرابع يتناول النشاط المباشر لأهانغاراني خلال حركة الخضر عام 2009. من خلال لقطات الفيديو الخاصة

---

* كاتب عراقي

تتمة ص التالية

بها، تلتقط المخرجة رعب الشرطة وهي تطلق النار على المتظاهرين في ساحة الثورة والبحث اليائس عن أصدقائها وسط الفوضى .القسم الأخير، "من أجل ليلي"، يأخذ السرد إلى الحاضر. "أهانغاراني " المنفية في لندن، تثبت الفيلم على حاسوبها المحمول وتدمج مواد حديثة عن الحرب التي بدأت في 2026، مما يربط أرشيف العائلة بجروح جماعية جديدة . رغم ألم هذا الحاضر، ينتهي الفيلم بصورة إبنتها، التي تعني نظرتها البرئية فرصة أمل للأجيال القادمة ، صرحت المخرجة : " "لديّ أمنية وهي أن يأتي يوم قريب تستطيع فيه ابنتي الصغيرة ليلى وكل أطفال إيران العيش في إيران حرة وديمقراطية". صورت "بيغا أهانغاراني " معاناة الإيرانيين في الفيلم الوثائقي المشترك الإسباني ـ التشيكي "بروفات من أجل ثورة" من خمسة فصول من فيلمها الوثائقي، حيث تروي كيف كان العيش من بعيد احتجاجات شعبية ضخمة في يناير الماضي، والتي سحقها النظام الإيراني في موجة قمع أسفرت عن مقتل الآلاف، وفقا لمنظمات حقوق الإنسان . صورت صانعة الفيلم والدتها، التي كرست نفسها للسينما ، وقصة معلمة لها اضطرت للهروب إلى المنفى لأنها دون علمها بالعواقب المحتملة. كما نقلت من أرشيف عائلتها الصور القليلة المحفوظة حكاية عمها رشيد الذي انتحر بعد مشاركته في احتجاجات طلابية في التسعينيات واعتقاله. مع كل هذه القصص، تضع المخرجة فسيفساء زمنية للحركات الاجتماعية والسياسية في التاريخ الإيراني الحديث، تنتقل من الحميمة إلى العام .أول فيلم وثائقي طويل لأهانغاراني هو أكثر من مجرد درس تاريخي. إنه اعتراف وتحقيق حميمي وفعل مقاومة . العنوان نفسه يلخص فلسفتها: كل حركة فاشلة لا تبدو كهزيمة حاسمة، بل ك"بروفة" لوعي أوسع . كما أوضحت المخرجة أهانغاراني في مقابلات خلال المهرجان: "رغم أن الشعب الإيراني واجه قرنا من القمع، إلا أنه يحتفظ بروح قتالية ترفض أن تنكسر". وتضيف قائلة : " هناك عائلات لديها قصص أكثر مأساوية وتعقيدا ، أعرف أمهات فقدن ابنانا واحدا في الحرب والآخر أعدم على يد النظام في نفس الوقت" .

تركز المخرجة على سرد قصص متعددة تنقسم إلى ثلاث فئات رئيسية: من سبقوها (مثل والدها وأعمامها)، ومن جاءوا بعدها (مثل ابنتها الصغيرة)، ونفسها، حيث نسجت عدة وجهات نظر لتشكل صورة معقدة لماضي إيران. والنتيجة هي دراسة أكثر تأملاً للاضطرابات السياسية والثقافية، مع التركيز على سلسلة من اللحظات المترابطة التي تشكل تيارا مستمرا من التعليقات التاريخية، بدلا من أحداث فردية ومعزولة . قرار تقليص التاريخ إلى لحظات أصغر يمنع الفيلم من أن يكون مرهقا، تُظهر دورات القمع والمقاومة التي تحدد هذه الثقافة وشعبها، لتأكيد الرسالة الأساسية المتعلقة بتقاطعات هذه الذكريات . "بروفات من أجل ثورة" وثيقة تاريخية فصيحة مجمعة من شظايا مذهلة من الماضي وربطتها ذكريات حية . الفيلم هو استعراض هادئ ومدمر لتاريخ إيران منذ السبعينيات، ويترك المشاهد متحمسا ومطلعا تماما على الصراع المؤلم للأمة وشعبها، ويمثل الفيلم عملا حقيقيا من المقاومة. تبقى السينما الإيرانية انعكاس لواقع شعبها. بالإضافة إلى النظر إلى مستقبل محتمل أكثر إشراقا للجيل القادم . لكن المخرجة "بيغا أهانغاراني" تظل متفائلة، وينعكس هذا التفاؤل في عنوان الفيلم. عنوان جدير بالإعجاب يروي في الوقت نفسه المصير المأساوي المتكرر للانتفاضات الشعبية ضد الديكتاتورية، ومع ذلك يترك الباب مفتوحا ليوم الانتقال فيه الى التحرر ، ولتكريم أحبائها وشعبها بأجمل طريقة ممكنة، استلهمت بيغا أهانغاراني من أعمال الليتواني "يوناس ميكاس"، المعجبة بشعره، وكذلك من طريقته الحرة في الحديث وعمله في إعادة بناء الذكريات.

"بيغاه آهنغاراني" ممثلة إيرانية وُلدت عام 1984، ظهرت أمام الكاميرا للمرة الأولى وهي في السادسة من عمرها، وبنت مسيرة تمتد على أكثر من أربعين فيلمًا روائيًا، قبل أن تصبح صانعة أفلام وثائقية. المخرجة " بيغا أهانغاراني" حكم عليها بالسجن ثمانية عشر شهرا في 2013 وأصبحت لاجئة في المملكة المتحدة منذ 2022، وهو مصير جيل كامل من الفنانين في إيران . فيلم وثائقي مؤثر بشكل لا يصدق يركز على علاقة المرأة الإيرانية بها وبوالدها ومختلف أفراد الأسرة / الأقارب الآخرين الجهود الثورية ضد الطغيان الموجود داخل إيران من قبل الثورة إلى اليوم. هناك مشهد تظهر ملايين المتظاهرين الذين يغمرون شوارع طهران بعد انتخابات عام 2009 بأمواج البحر . على الرغم من أن المظاهرة قد تم إخمادها بعنف، إلا أن اليوم الذي تم التقاطه من خلال كاميرات الفيديو المهتزة والمخفية قدمت لمحة عن الجمال الأساسي للرغبة في تحرر الشعب الأيراني . في ذلك اليوم الذي خرج فيه ثلاثة ملايين شخص شوارع طهران، وتدربوا عندما يأتي اليوم على أن يفقد عدوهم سلاحه وتكتمل ثورتهم .

فيلم „Rehearsals for a Revolution“ "بروفات للثورة" هو فيلم إيراني تسجيلي 95 دقيقة ـ بلغتين: إيراني إنكليزي ـ من إخراج بيغاه أهانغاراني. يتتبع الفيلم التاريخ الإيراني الحديث، من الثورة إلى الحرب الإيرانية العراقية، من خلال ذكريات أهانغاراني الشخصية. عُرض الفيلم لأول مرة عالميا في مهرجان "كان" السينمائي الدولي في 16 أيار ـ مايو 2026.

إضاءات أدبية

رامبو: الحياة في الشعر .. والشعر في الحياة
رامبو: و ((تحرير الحواس))

(3)

مؤيد جواد الطلال

((ألم يسمع في باريس أن ما يميز الشعراء البارناسيين ليس موهبتهم بل طول شَعرهم ؟!))، واتسخت ثيابه, ومضى يطلق عبارات التهكم والسخرية أمام المقاهي والكنائس, ويسرق الشراب ويمتهن كرامة الكهنة, أو ما هو أسوأ منها على مقاعد الحديقة العامة. حتى لقد كان صبيان الأزقة يشيرون نحوه بأصبعهم عندما يرونه يمر بملابسه الفوضوية, وتسريحته المهملة, أو يرشقونه بالحصى .ولقد تصدّق عليه, مرة, أحد الكتبة, إمعاناً في إهانته, بقطعة معدنية, لكي يذهب ويقص بها شعره. فما كان من (رامبو) سوى أن قبل العطية عن طيب خاطر, معلناً للمحسن الساخط بأنه سيشتري بهذه القروش بعض التبغ!!

إنّ هذا المقطع من خطاب (رامبو) إلى أستاذه يُزامن تلك المرحلة من مراهقة الشاعر, التي يصفه فيها (ارنست دلاهاي) بأنه كان يحاول تحدي المجتمع بحركاته وتصرفاته, بآرائه وفوضوية مظهره الخارجي, وغليونه الذي لم يكن ليفارق شفتيه .. بأنه كان يرفض أن يشتغل وأن يبحث عن مهنة نافعة يهتم بها, وبأنه كان يقضي الساعات الطويلة متبطلاً في المقاهي .لقد كان (رامبو), إذن, يفرض شروطه على الحياة والقدر متمرداً على قوانينهما ومتطلباتهما العملية, لقد كان يريد أن يكون شاعراً ولا شيء آخر: ((كل شيء أو لا شيء)) .شخصية إشكالية ومُركّبة أعتقد أن شخصية (رامبو) هي شخصية مُركّبة وإشكالية بشكل واضح وكبير, وفيها من الجوانب السلبية والإيجابية الشيء الكثير. وقبل أن نتحدث عن الجوانب الإيجابية المتمثلة في اندفاعاته العارمة لتجديد الحياة, الحياة الاجتماعية وحياته الخاصة, ولتجديد مضامين وأشكال الشعر الأوروبي وتـــغيير المجتمع عبر الثورة – ومن خلال الثورة – ليس على التقاليد البالية وحدها فقط , بل والمشاركة العملية الفعالة في // كومونة باريس // التي أصبحت رمزاً للنضال, ومعول هدم العالم القديم, والتي باركها كارل ماركس ورفيق نضاله (إنجلز) .. ثم تحول رامبو المبكر من صبي وفتى مُتبطِل عن العمل, معتمد على التسول ومساعدة والدته له, إلى رجل مغامر جوّاب للآفاق, بحثاً عن رزقه الخاص, إن لم أقل خالقاً إياه, حتى وإن رمى بنفسه إلى بئر التهلكة الغميق, متعاطياً تجارة الرقيق وتهريب الأسلحة .. الخ وبعد أن تحدثنا عن هذه الجوانب الإيجابية الثورية الاقتحامية في شخصيته, نعود لنلقي الضوء على الجوانب السلبية التي شكلت ظاهرة الغرابة والفرادة في شخصيته. ظاهرة أن يُفسد المرء خُلقه إلى أقصى المُستطاع, من خلال التشويه المتعمد – المنهجي والمنظم – لكل الحواس .. ومن خلال تعاطي الأفيون والتشرد والعيش البوهيمي والسُكر والتهتك الجنسي حدّ الشذوذ, ليصبح بين الجميع ((المريض الكبير, المجرم الكبير, الملعون الكبير – والعارف الأعظم .. الخ)) من أجل الوصول إلى المجهول, كما ورد في نص سابق !! ولا بد أنّ ((سمير الحاج شاهين)) كان قد اعتمد مصادراً عدّة, وتساؤلات كُثّاب كُثر ومختلفين, ليطرح سؤال كهذا - :ولكن أين تكمن هذه الغرابة وما هو مصدرها الأساس: هل هو ((الدم الفاسد)) والطفولة الوحشية والصدمة الأولى, أم تكمن في الحالات الاستثنائية التي تحدث عنها نيتشه –]الحالات الوثيقة الصلة بالظواهر المرضية عند الفنان] – أم يا ترى تتجسد هذه الغرابة في البحث المُضني عن الأبدية المستعادة, البحث عن طريق يكون فيه الشاعر رائياً ومتنبئاً ؟ !لا أحد يستطيع الإجابة على هذا السؤال, وربما يكمن سرّ غموض هذه الفلتة, وهذه الومضة الشعرية الحياتية المدهشة, بعدم القدرة على الإجابة على هذا السؤال . لذلك نجد ثمة تفسيرات عدّة ومتناقضة لهذه الظاهرة الشعرية والحياتية المعجزة في أغلب الكتب والدراسات التي تتناول (رامبو) كشاعر وإنسان. ونحن لا نجد في كتاب ((سمير الحاج شاهين)) تفسيراً أو تعليلاً لهذا

الغموض المدهش, أو الحالات الاستثنائية التي صورها لنا رغم استعانته بعديد المصادر والآراء .ولا نظن أنّ أحداً سيعطي الجواب الشافي لكل هذه التساؤلات التي يطرحها شعر(رامبو) وتعمقها حياته الغريبة, الخصبة والغامضة, حدّ الدهشة والإعجاز؛ ولهذا سيظل يُقرأ زمناً طويلاً وتحاك حوله العديد من الأساطير والأقوال .. ولكنها تظل أقوالاً وأساطير محببة إلى النفس, مليئة بالغموض الذي يبعث على التفكير والتأمل والبحث عن حلول وخلاص: أي خلاص ؟ !وإذا ما وقفنا عند الحالات الاستثنائية التي تحدث عنها المفكر الألماني نيتشه , والتي هي وثيقة الصلة بالظواهر المرضية عند الفنان, فإن السيّر الذاتية تفيد بأنّ نيتشه ذاته كان قد انتهى نهاية مرضية مأساوية بسبب أزماته وأمراضه النفسية, وعدم قدرته على تقبل الواقع والتعايش معه, فانهارت أعصابه بطريقة مفجعة ومريعة .. وسنعود لاحقاً إلى النهاية المأساوية التي انتهى إليها (رامبو) أخيراً في عمره القصير جداً ! ولا ندري فيما إذا كان لنوبات الصرع أثر مباشر أو غير مباشر في تجليات وعبقريات دوستويفسكي أو في كتابة رسائله الغريبة من تحت أعماق الأرض, إضافة إلى طريقة بنائه لبعض الشخصيات الاستثنائية والمعقدة, خاصة في روايتيّ >>الجريمة والعقاب <<و { الأخوة كارامازوف } ؟؟ هل كان (رامبو), إذن, مُصاب بمرض نفسي كانفصام الشخصية أو التحليق بأحلامه الذاتية إلى آفاق واسعة وبعيدة جداً .. آفاق غير منظورة وغير معقولة؟! هل كان العالم يتراءى له كمسرح هو متفرج على مشاهده المسحورة, لكنه في الحين ذاته ممثل على خشبته حيث

---

* مؤيد جواد الطلال كاتب عراقي مستقل مقيم في سورية.

تتمة ص التالية

رامبو: الحياة في الشعر .. والشعر في الحياة

((ظهر رامبو في كل نتاجه مهووساً بفكرة الممثل المضطرب في داخله: ذاك الذي يمثل دون أن يتمكن من أن يعيش بالفعل مهزلة الحقيقة))، على حدّ تعبير (ايف بنغواي).

وبفضل ازدواجية أناه: ممثل – متفرج, يُشاهِد (رامبو) نفسه, كمراقب غريب, وهي تؤدي أدواراً متنوعة في تمثيلية الحياة: الطفل – الشحاذ – طريد العدالة – المتشرد – الغجري الجوال – الزنجي – الحاج الورع – القديس – العالِم – الساحر – المشعوذ .. الخ إنّ هذه الازدواجية في شخصية (رامبو) تدفعه للاعتقاد بأنه شخص آخر, وخاصة في عملية الإبداع الفني, قائلاً: ((إنني أشهد تفتح فكرتي: أراقبها, أصغي إليها. إني أرسل ضربة وتر: المعزوفة تتحرك في الأعماق, أو تأتي بقفزة واحدة إلى خشبة المسرح)). ولهذا يظن (رامبو) بأنه يخلق وحي يملي عليه كتابة الشعر, وإنّ ((الذكاء الكوني)) يفكر من خلاله !في موضوعة أحلام (رامبو) الواسعة والعظيمة فإنّ { هنري ميللر } يتحدث عن الروح بدل الحلم, معتبراً أنّ الجحيم التي وصفها (رامبو) بحيوية مفعمة, كان قد مارسها فعلاً, بروحه؛ وعليه الآن أن يعيشها بجسده. لقد أتمّ حكاية جحيمه الخاص, ويوشك أن يقول ((وداعاً)).

لم يبق إلا أن يضيف بضع كلمات فراق .... وثانية تأتي صورة الصحراء –إحدى الصور الأكثر إلحاحاً – لقد نضب نبع إلهامه, واستنفذ (مثل إبليس) النور الذي منحه: ولم يبق إلا نداء الماوراء, نداء الأعماق. واستجابة لهذا النداء, يجد العزاء والاكتمال في حياة الصور المروعة التي تسكنه: الصحراء)) ! متى نرحل ؟)). هكذا يتساءل (رامبو): ((متى نرحل ... لنحيي ولادة المهمة الجديدة, الحكمة الجديدة, هروب الطغاة والعفاريت, نهاية الخرافة ؛ لنعشق الأشياء الأولى – ! عيد ميلاد على الأرض ؟)) .. [كم تُذكِّر هذه الكلمات بمعاصره الذي لم يعرفه البتة, ألا وهو المفكر نيتشه ؟!], يتساءل { هنري ميللر .{ الوجه الآخر – الإيجابي والبحث عن خلاص إنّه الخلاص الإنساني, الخلاص الفردي والجماعي على حدٍ سواء. خلاص المثقف والفنان, خاصة في عصور الذل والاضطهاد وسيادة العنف والأفكار الرجعية والتقاليد الاجتماعية البـاليـــة والأخلاق شبه الإقطاعية شبه البرجوازية .. أو كل هذا وذاك الذي سعى (رامبو) لمحاربته في الشعر وفي الحياة ؛ في حُلم // كومونة باريس // وفي إحباطات الذهن والروح بعد فشل تلك الكومونة ... لم يكن (رامبو) مجرد شاعر ذاتي يبحث عن خلاصه الفردي, عن براءة الطفولة وفردوسها المفقود إلى الأبد, ذلك الفردوس الذي يجسد حلمه بعالم مُضاء وأمم نقية ترقد تحت الشمس ..

لقد كان (رامبو) أيضاً شاعراً إنسانياً عظيماً حارب كل ألوان التعسف والاضطهاد, وشارك في // كومونة باريس // الشهيرة (آذار من عام 1871) – التي مجّدها ماركس - والتي كان (رامبو) يرى فيها حلم تحقيق عالم العدالة والمساواة والحرية والانطلاق الإنساني نحو آفاق أرحب وعوالم أخصب, حتى أن الناقد ((بيير كاسبار)) أعد دراسة خاصة عن (رامبو و... الكومونة), والبعض الآخر أفرد فصولاً عن رامبو السياسي .لقد أشار { ميللر } في معرض حديثه عن زمن الملائكة التي لم تعد تشبه نفسها قائلاً: إنّ غطرسة (رامبو) وتحدياته لم تكن موجهة, البتة, ضد الفقراء, والمنكودين, المؤمنين حقاً. كان يكافح المغتصبين والمدعين, يكافح كل ما هو زائف, وباطل, ومنافق, ومدمر للحياة. كان يريد أن تعود الأرض فردوساً, مثلما كانت, ومثلما هي ما تزال ... خلف حجاب الوهم والضلال. لم يكن مهتماً, أبداً, بفردوس أشباح, واقع في وراء أسطوري. كان يرى عيد ميلاد الأرض, والآن, هنا, مُجسّداً, حيث الناس أعضاء في مجموعة عظمى, متدفقة بنار الحياة .أما ((سمير الحاج شاهين)) فأنه لا يفرد فصلاً في كتابه لهذا الموضوع, بل يتحدث بصورة عامة عن ثورات (رامبو): عن ثورته النفسية والأخلاقية والجنسية والعاطفية والدينية والاجتماعية والشعرية والسياسية .. الخ؛ هذه الثورات التي دعت بعض النقاد لأن يروا في (رامبو) واحداً من أكبر ثوار العالم, أو واحداً من أعظم المفكرين والشعراء الثوريين في العصر الحديث ! من أجل تغيير الحياة: العلاقة الجدلية بين الشعر والحياة ولكن هل ثمة علاقة ما بين العمر الزمني وبين شاعر يُوحى إليه بالأشعار ؟! وهل ثمة حياة قصيرة يمكن أن تنتج مثل هذه ((الإشراقات)) وفصول الجحيم و >>المركب النشوان <<؟؟ لقد كان (رامبو) يسعى إلى تغيير الحياة. المهم, بالنسبة إليه, هو تبديل الحياة؛ وإلا فكيف نفسر مثل هذه الحياة الصاخبة الضاجة, القاسية المدهشة, التي عاشها رامبو؟ !ولعل أبرز وأهم ما في دراسة ((سمير الحاج شاهين)), الشيقة العميقة, هو الربط بين الشعر والحياة, بمعنى تحويل لآلئ (رامبو) الشعرية إلى نثر الحياة. وربما كانت هي الخاصية الأكثر بروزاً وأهمية في شعر (رامبو)؛ إذ أنّ شعره ليس إلا الصورة الفنية لحياته, بل ربما كانت حياته عبارة عن روضة شعرية خاطفة أو الهام شعري مقدس كان يُوحى إليه أو يتلبسه لبوس العرّاف الذي يضرب في متاهات المجهول, مسحوراً بالآتي, باحثاً عن الفترة المعبودة من العمر: عن الطفولة الوحشية, مسترسلاً في أحلام اليقظة فوق مركب نشوان في الأرخبيلات السماوية التي لا يراها إلاّ شاعر .. شاعر يَرى ويَحس ما لا يُرى ويُحس من قِبل الآخرين – حتى وإن تعمد تشويش وتشويه الحواس – وإلا كيف يكون الشاعر عرّافاً يخلق من الكلمات وجوداً خصباً, لانهائياً, سرمدي الإبداع ؟ " !كان رامبو يحيا قصائده بصدق وإخلاص. ولا يوجد أي فارق عنده بين الحقيقة والكتابة. إنّ وراء كل كلمة ينطق بها حافزاً حياتياً وتجربة مصيرية, أبحاثاً طويلة وصلوات ضارعة. إنّ كل لفظة يتمخض عنها هي ثمرة ممارسته لعمره بزخم وقوة وعنف, وتعمقه في أسرار قلبه, وتحليله لخلجات نفسه الخفية, واكتشافه لكنوزه الداخلية, ودراسته لأحاسيسه التي لا ينخدع بطبيعتها, بل يفحصها بجرأة ويتفهم جوهرها.." رحيل نحو بكارة الأشياء إنّ الحياة تعبق وتتضوع في كل بيت شعري, حيث كان الشعر مسكوناً برامبو مثلما كانت حياة (رامبو) مسكونة بالشعر ... وكما قال >>جاك بريفير <<: فإن رامبو استنفذ في سنوات ثلاث عصور الفن كلها, كما أنه يضم حيوات عديدة داخل نفسه.

حلقة 4 يتبع

الكاريكاتير البغدادي
مختارات هذا العدد - 15 تموز 2026

مستقبل العراق

الديموقراطية على الطريقة الأميركية

مَنصُور اَلبكْرِي الإنْسان.. رحل بِهدوء إلى السَّلَام الأبَديّ ، لَكِن إبْداعه الفنِّيَّ سيخلِّده

منصور البكري

ولد في 19 يناير 1956 ـ رحل يوم الخميس 4 نوفمبر ـ تشرين الثاني 2021

"صوت الصعاليك" تنشر رسوم الكاريكاتير للفنان الراحل ((منصور البكري)) التي قام بوضعها في ملف خاص للنشر في الصفحة الفنية التي كان يشرف على تحريرها في "صوت الصعاليك" منذ إصدار عددها الأول في 1 يناير 2021... ننشر ما لدينا من رسوم لشخصيات عراقية وعربية وعالمية.